

HAPPINESS

# السعادة

خواطر عن معنى الحياة



كارل هيلتي

ترجمة: ريهام مجدي

السعادة

خواطر عن معنى الحياة

info@darak-egy.com



02 24832669-010 27251915



51 ب شارع النزهة - من امتداد رمسيس - القاهرة.



دارك

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

السعادة (خواطر عن معنى الحياة)

اسم النص الأصلي: Happiness - Essays on the Meaning of Life

اسم المؤلف: كارل هيلتي

ترجمة: ريهام مجدي

رقم الإيداع: 2022/26661

الترقيم الدولي: 978-977-6634-98-5

الطبعة الأولى: 2023

كارل هيلتي

السعادة

خواطر عن معنى الحياة

ترجمة

ريهام مجدي

مكتبة

[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)

**دارك**  
للنشر والنويع

## إهداء

إلى أمي نادية التي علمتني كيفية العيش في هذه الحياة  
وذهبت هي  
ستظلين أنتِ كل شيء.



## المقدمة

عزيزي القارئ،

يا من أرهقته الحياة بألغازها الكثيرة..

يا من تريد الانغماس داخل أعماقك للبحث وفهم ذاتك..

يا من تريد الإبحار عكس تيار الأفكار المزعجة..

هذا الكتاب لك، كتبه كارل هيلتي بحروف من نور في ظل ظلام

غموض الحياة السريعة والمرهقة التي نعيشها اليوم.

أدعوك أن تبهر معي خلال 8 مقالات ستغير نظرتك للحياة بعد

قراءتها للأبد، ولن تصبح نظرتك كما هي بعد أن تنتهي من رحلة

الإبحار في هذه الرحلة التنويرية الرائعة.



## عن الكاتب



وُلد هيلتي في بلدة «فيردينبيرج» الصغيرة في كانتون سانت غالن في شمال شرق سويسرا في 28 فبراير عام 1833م. كان والده الطبيب يوهان أولريش هيلتي، مارس الطب لسنوات في عاصمة كانتون «جريسنس الشرقية». استقرت

عائلته في «فيردينبيرج» لعدة سنوات، وفي عام 1835 اشترى الطبيب الثري قلعة «فيردينبيرج» المنهارة في مزاد، ليحقق حلم عائلته القديم بتملك القلعة العريقة. والده كارل هيلتي إليزابيث (ني كيلياس) تنحدر من «خور» في «كانتون» وكانت ابنة طبيب سابق في الجيش الفرنسي. توفيت عام 1847 وكان كارل ابن الرابعة عشر عامًا.

نشأ كارل هيلتي في «خور»، حيث التحق أولاً بالمدرسة الابتدائية العامة ثم في مدرسة كانتون الإصلاحية السويسرية.

من 1851 حتى 1853 درس هيلتي الفقه القانوني في ألمانيا، في جامعة جوتنجن. في عام 1854 حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة هايدلبرغ. بعد ذلك أمضى بعض الوقت في لندن وباريس من أجل تحسين مهاراته اللغوية.

من عام 1855 فصاعدًا كان مديرًا لمكتب محاماة في «خور» لما يقرب من عقدين من الزمن. وسرعان ما ظهر كمؤيد بارز للديمقراطية المباشرة. في عام 1857، بعد فترة خطوبة استمرت بضعة أشهر فقط، تزوج هيلتي من «جوانا جارتنز»، التي تنحدر من عائلة من علماء القانون في بروسيا. كان والدها غوستاف، الذي توفي عام 1842، أستاذًا للقانون في جامعة بون. كانت والدتها ماري سيمون، التي ولدت في بريسلاو ابنة قاضٍ ورئيس سابق لمجلس امتحانات المحققين البروسي، قد كتبت ونشرت رواية سياسية عن الثورات الألمانية 1848-1849، مثل شقيقها هاينريش سيمون، الذي كان عضوًا بارزًا في برلمان فرانكفورت، ونتيجة لمعارضته للنظم القمعية المناهضة للديمقراطية والليبرالية، تم نفيه إلى سويسرا وهناك التقى بماري سيمون، لتنشأ بينهما قصة حب ويتزوجا على الفور.

في عام 1862، انضم هيلتي إلى الطاقم القانوني للقوات المسلحة السويسرية بالإضافة إلى عمله في مكتب المحاماة الخاص به، وفي عام 1872، أصبح أيضًا عضوًا في مجلس مدينة خور العظيم.

في عام 1874، أصبح أستاذًا للقانون الدستوري في جامعة برن.

كان هيلتي ناطقًا ومدافعًا باسم حقوق المرأة في التصويت والترشح، قبل عدة عقود من انتشار المطالبة بحقوق المرأة في التصويت والترشح للمناصب الهامة والمجالس النيابية. رفع هيلتي شعار أن سويسرا كدولة قومية تضم العديد من الجنسيات واللغات، لديها مهمة فريدة لإثبات أن الدولة القومية يمكن أن تتجاوز الميول القبلية.

وفي عام 1890، أصبح عضوًا في المجلس الوطني السويسري.

من عام 1886، قام بتحرير مجلة (الفقه القانوني السويسري)، وكان اهتمام هيلتي الفلسفي عمليًا بطبيعته. كتب عن السعادة، ومعنى الحياة والعمل، وتنمية العادات الحسنة، وإدارة الوقت، وكسب معارك الحياة. اشتهر بكتاباتة عن السعادة، والتي ظهرت لأول مرة في ثلاثة مجلدات ما بين أعوام 1891، 1895 و 1899. جمعت هذه المقالات في نهاية المطاف في مجلد واحد بعنوان: «السعادة: مقالات عن معنى الحياة». في هذا العمل، جمع هيلتي بين الفكر الكلاسيكي القديم والمعتقدات الدينية، والنظرات الفلسفية للحياة والسعادة، وكيفية تحقيقها في الدنيا. تمت ترجمة العمل إلى اللغة الإنجليزية من قِبَل البروفيسور «فرانسيس جرينوود»، أستاذ اللاهوت بجامعة هارفارد، وظهر لأول مرة في الولايات المتحدة عام 1903. كان هيلتي في عصره أحد المثقفين القلائل الذين ما زالوا يؤمنون بالكتب المقدسة، ورفض تمامًا جميع الفلسفات والأفكار الإلحادية المنتشرة في عصره، في حين كرّس العديد من المثقفين أنفسهم لما يسمى بالفلسفة الإلحادية بعد ظهور العلوم الجديدة والصدام الشائك بين الدين والعلم، خاصة عقب ظهور نظريات داروين. ومع ذلك، فقد كان يؤمن بالإصلاح الديني، والاجتماعي، مع دخول أوروبا عصر جديد من النهضة والاعتماد على الثقافة.

قال مقولته الشهيرة: «السلام ليس سوى شعرة بعيدة عن الحرب». على الرغم من كونه متدينًا، إلا أنه لم يكن من دعاة السلام، وتوقع نشوب حرب عالمية القادمة.

من أهم كتبه:

- «أفكار ومقالات عن الديمقراطية» عام 1868

- «محاضرات عن السياسة السويسرية» عام 1897

- «حرب البوير» - عام 1900

- «القراءة والتحدث» - عام 1891

- «اترك الأرق!» - عام 1901

- «السعادة» - عام 1891

توفي كارل هيلتي في 12 أكتوبر عام 1903م.

## مقدمة فرانسيس جرينود

عدد كبير من الأشخاص المفكرين في حيرة كبيرة لمعرفة ما يجب القيام به في الحياة، ويبحثون عن بعض التفسيرات المعقولة للعالم الحديث. لا يمكنهم التخلي عن العمل لكنهم يدركون أنهم لم يتعلموا فن العمل. عليهم خوض معركة الحياة، لكنهم غير متأكدين من الأسلحة المناسبة لتلك المعركة. إنهم محاصرون بمشاغل الحياة لدرجة أنهم ليس لديهم وقت للحياة نفسها.

يلاحظون أن السعادة غالبًا ما تكون بعيدة عن أولئك الذين يسعون إليها بشغف، وأن معنى الحياة غالبًا ما يكون مخفيًا عن أولئك الذين يكون طريقهم أكثر حرية.

بالنسبة للتردد والقلق وعدم الرضا عن العالم، فإن انعكاسات البروفيسور هيلتي كما نُشرت في سويسرا وألمانيا، قد جلبت الكثير من الطمأنينة، ولكنها كانت أقل قابلية للتطبيق على الحياة الإنجليزية والأمريكية حيث هوس التجارة يهدد المثالية وفن الحياة وتيرة المعيشة. من بضع سنوات حصلت على إذن من البروفيسور هيلتي لكي أترجم للقراء الإنجليز والأمريكان بعضًا من هذه المقالات التي لقيت القبول في سويسرا وألمانيا، ووجدت أنه من الضروري استخدام قدر كبير من الحرية في التعامل مع أسلوبه الاصطلاحي والقصصي. ربما تجاوزت الحق الشرعي

للمترجم في محاولة إعادة إنتاج نغمة المؤلف ومزاجه، ولكن لا شيء هنا  
لم يَقُلْه البروفيسور هيلتي.

فرانسيس جرينود بيبودي

كامبريدج، ماساتشوستس 15 أكتوبر 1902

المقال الأول  
فن العمل



أهم الفنون علي الإطلاق هو فن العمل؛ لو استطاع المرء فهم هذا الفن جيداً، سوف تصبح جميع المعارف والسلوكيات الأخرى مبسطة بلا حدود. ومع ذلك، فإن قليل من الناس يعرفون كيف يعملون حقاً. وحتى في عصر نسمع فيه كثيراً-ربما أكثر من أي وقت مضى-عن «العمل» و «العمال» لا يمكن للمرء أن يلاحظ أن فن العمل يصنع الكثير من التقدم الإيجابي. على العكس من ذلك، يبدو أن التوجه العام هو أن يعمل المرء قليلاً، أو أن يعمل لفترات قصيرة من أجل أن يقضي باقي عمره في راحة.

هل العمل والراحة إذاً هدفان إيجابيان متناقضان في الحياة؟ يجب أن يكون هذا أول استفساراتنا؛ في حين أن كل واحد على استعداد أن يشيد بالعمل، لا تأتي المتعة مع العمل دائماً. بالرغم من أن عدم الرغبة في العمل هو شر شائع، يكاد يكون في الواقع مرض الحضارة الحديثة، وطالما أن الجميع يسعى للهروب في أسرع وقت ممكن من العمل الذي يشيد به من الناحية النظرية، لا يوجد أي أمل على الإطلاق في تحسين حالتنا الاجتماعية. في الواقع، إذا كان العمل والراحة لدينا متناقضين، ستكون ظروفنا الاجتماعية كلياً غير مبشرة.

إن كل قلب بشري يتوق إلى الراحة. يدرك ذلك الأناس الأكثر تواضعاً والأقل ثقافة. وفي أسمى حالاتها، تسعى الروح للارتياح من الضغط

المستمر. في الواقع، لم يجد الخيال اسمًا مستقبليًا أفضل وأسعد من حالة الراحة الأبدية. إذا كان العمل ضروريًا، والراحة هي حالة التوقف التام عن العمل، إذًا فمقولة «بعرق جبينك تأكل خبزًا» هي لعنة مريرة حقًا وهذه الأرض هي «وادي الدموع». في كل جيل هناك قلة من الذين يستطيعون، وفقًا لهذه الشروط، أن يقال إنهم يحيون حياة إنسانية هائلة؛ وحتى هؤلاء لا يمكنهم فعل ذلك إلا بإلزام البشر الآخرين بالتقيّد بلعنة العمل وإخضاعهم لقواعد عبودية هذا العمل. من هذا المنطلق صوّر الكتاب القدامى العبودية اليانسة للكثيرين كالمحفز الذي يمكن للقلة من خلاله أن يصبحوا مواطنين أحرارًا في دولة متحضرة؛ وحتى في القرن التاسع عشر، جزء كبير من سكان الأمة الواحدة العظيمة، بوجود الوعاظ الدينيين والكتب المقدسة، لهدايتهم، حافظوا في ميدان المعركة على فكرة أنه يجب أن يكون جنسًا بشريًا محكومًا عليه بالعبودية من جيل لآخر. ويقال إن مقومات الحضارة والثقافة لا تنمو إلا في ظلّ تدفق الثروة، والثروة لا تتواجد إلا من خلال تراكم رأس المال الذي لا ينشأ إلا عن طريق عمل ومجهود الأشخاص الذين لا يتقاضون أجرًا عاديًا؛ أي في ظل وجود الظلم. هذه هي مفاهيم المجتمع التي واجهتنا حين اقتربنا من دراسة موضوعنا.

وفي كل الأحوال فإن الصفحات القادمة غير مكرّسة لترسيخ أي عبارات منمقة لأيّ من الحقيقة المطلقة، أو النسبية لهذه المفاهيم.

ووصولًا عند تلك النقطة، فإني أطرح فقط الحقيقة الواضحة، أنه إذا لم يعمل كل الناس، وليس فقط بعض الناس، بأمانة فإن «السؤال

الاجتماعي»، كما يُطَلَق عليه، ستم إجابته على الفور؛ ويمكنني أن أضيف أنه لا يوجد ثمة طريقة أخرى لإيجاد حل لهذا السؤال.

ومع ذلك، فإن العمل بأمانة لا يأتي عن طريق الإكراه. حتى لو كان القهر حاضرًا بوسائله المادية المتداولة عالميًا، فلن ينتج عنه أي عمل مثمر. بل إن الرغبة في العمل هي التي يجب أن تتقد في نفس الإنسان؛ وهذا يعيدنا مرة أخرى للنظر في المبادئ التي يمكن تطبيقها على هذه الرغبة.

يجب علينا، أولاً وقبل كل شيء أن نعترف أنه لا يمكن تحقيق الرغبة في العمل، من خلال إصدار التعليمات؛ ولا بإتخاذ أمثلة - كما تشهد تجاربنا اليومية للأسف-. ولكن يجب الوصول إلى الرغبة في العمل عن طريق الخبرة والتجربة؛ ومن ثم فإن هذه الخبرات سوف تكشف لأي مستفسر جاد عن الحقائق التالية.

الراحة، كما يتمناها البعض، لا يمكن العثور عليها من خلال الجمود التام للعقل أو الجسد، أو حتى من خلال النشاط البسيط. على العكس من ذلك، يمكن العثور عليها فقط من خلال نشاط منظم جيداً للجسم والعقل.

إن الطبيعة الكاملة للإنسان خلقت للنشاط، والطبيعة تنتقم بمرارة ممن يتحدى بتهور هذا القانون. لقد طُرد الإنسان بالفعل من الجنة حيث الراحة المطلقة، وقد أمر الله الإنسان ليعمل ولكن مع العمل تأتي المكافأة بأن العمل ضروري للوصول للسعادة. الراحة الحقيقية، بالضرورة، تنبع من العمل.

الراحة الذهنية تحدث عند إدراك المرء مفهوم التقدم المثمر في العمل

ومن خلال إيجاد حلول للمشاكل الشخصية أيضًا. الراحة الجسدية توجد في الاستراحات الطبيعية اليومية تلك التي تُعطى عن طريق النوم والطعام، والاستراحة الأساسية والمريحة يوم العطلة الرسمية أيضًا. هذا النموذج لحالة النشاط المستمر والصحي، يتم مقاطعته فقط بواسطة تلك الاستراحات الطبيعية، ويعتبر أسعد نموذج على وجه الأرض، ولا يصح لأي إنسان أن يتمنى لنفسه أي سعادة خارج هذا الإطار. في الواقع، يمكننا أن ننتقل لخطوة أبعد ونضيف أنه لا يهم كثيرًا طبيعة النشاطات المتبعة. قد تكون طبيعة هذا النشاط، نشاط حقيقي وليس مجرد لعبة رياضية، لها خاصية مثيرة للاهتمام بمجرد أن يصبح المرء منغمسًا فيها بجدية. ليس نوع النشاط المتبع هو من يضمن سعادتنا؛ ولكنها متعة العمل والإنجاز.

أكبر تعاسة يمكن للمرء أن يخوضها هي أن يعيش حياة بدون القيام بأي عمل، ويصل إلى نهايتها بدون استشعار ثمرة العمل المنجز. لذلك، من المبرر تمامًا الحديث عن «الحق في العمل». في الواقع، إنها أكثر حقوق الإنسان بدائية. يجب أن نعتزف بأن العاطلين عن العمل هم أكثر الناس الذين يعانون من سوء الحظ. ومع ذلك، هناك العديد من هؤلاء، وربما أكثر، ممن نطلق عليهم الطبقات الراقية أكثر ممن نطلق عليهم الطبقة العاملة. تلك الطبقة العاملة مدفوعة إلى العمل بحكم الضرورة، في حين أن الطبقة الراقية، من خلال طرق تعليمهم الخاطئة، تحيزاتهم، الوراثة عن الأهل، والعادات المجحفة التي تمنع فئات معينة من العمل الحقيقي، يجدون أنفسهم محكوم عليهم بالتعاسة بشكل شبه مطلق. كل عام نراهم يتجهون بخطواتهم المليئة بالإرهاق الروحي

والمثل للجبال السويسرية والمنتجعات الصحية، التي يتوقعون منها الحصول على المتعة عبثًا.

كان الصيف كافيًا ليستعيدوا ازدهارهم المؤقت من حالة الفراغ الممرض. الآن، يجب عليهم إضافة الشتاء أيضًا، وقریبًا ستصبح الوديان الجميلة التي حوّلوها إلى مستشفيات مفتوحة طوال العام أمام ملهم الذي لا يهدأ. يسعون دائمًا للراحة والتي لن يعثروا عليها أبدًا؛ لأن تلك الطبقة لا تسعى للوصول للسعادة عن طريق تحقيق الإنجازات في العمل. «يجب أن تعمل ستة أيام»، ليس أقل وليس أكثر، وبتابع هذه الوصفة، معظم الأمراض العصبية في عصرنا ستُشفى، إلا إذا كانت لعنة موروثه من الأسلاف العاطلين.

مع هذه الوصفة سيخسر معظم الأطباء في المصححات النفسية أعمالهم. لا تُمنح الحياة للإنسان ليستمتع بها، بل لاستخدامها بقدر الإمكان على نحو فعال. مَنْ لا يدرك هذا فقد بالفعل صحته النفسية. في الواقع، ليس بإمكان المرء أن يحتفظ بصحته الجسدية كما لو كان في ظل ظروف النشاط الطبيعي وسبل العيش المقبولة.

تتراوح أعمارنا في عصرنا هذا ما بين ستين إلى سبعين عامًا، وقد تصل أعمار بعض الناس ذوي الصحة الجيدة إلى ثمانين عامًا. ومع ذلك وعلى الرغم من وجود حزن وتعب في سنوات العمل، إلا أنها تعتبر سنوات ثمينة: وهذا المعنى يتضح لنا عندما نقرأ المقولات في كتابات القدامى.

ومع ذلك، فليست كل الأعمال لها نفس القيمة، هناك أعمال زائفة موجهة إلى غايات خيالية، وهناك أعمال أخرى هي نفسها خيالية في

تكوينها. على سبيل المثال، الخياطة والتطريز الذي تقوم به النساء المثقفات، استعراض الجنود، الكثير من الممارسات التي تسمى فنًا، مثل العزف غير المجدي على البيانو من قِبَل الأشخاص بلا حِسٍّ موسيقي، جزء كبير من حياة الرياضيين. كل هذه المهَن ذات طبيعة وهمية. يجب على الشخص الحكيم والمنتبه أن يبحث عن مهن أكثر إرضاءً من تلك المهن السابق الإشارة إليها.

السبب الذي يجعل عامل المصنع، وكل المهن اليدوية التي لا يقوم المرء فيها سوى بجزء فقط من العمل، تعطي إشباعًا ضئيلاً، على عكس الفنان أو المزارع الذي يقوم بعمل متكامل، يكون أكثر قناعة بكثير عن العاملين في المصانع. وهذه قاعدة عامة، فلا يرى لإن عامل المصنع لا يرى سوى من نتائج عمله، الآلة هي التي تصنع، وهو فقط جزءٌ منها. إنه يساهم في صنع ترس صغير واحد، لكنه لا يصنع أبدًا ساعة كاملة، والتي قد تكون بالنسبة له إنجازًا وعملاً فنيًا يليق به إن أنجزها. لذلك، الأعمال الميكانيكية تفشل في الإرضاء النفسي للمرء لأنها تسيء إلى وعيه الداخلي بقيمتها علي عكس الأعمال الأخرى الكاملة.

من ناحية أخرى، فإن أسعد العمال هم أولئك الذين يمكن أن ينخرطوا تمامًا في عملهم: الفنان يجب أن تكون روحه خاضعة بالكامل لفنه، إذا كان يأمل في تطوير أعماله؛ المثقف الذي لا يدري شيئًا، سيفشل في أعماله الخاصة. في الواقع، نفس الشيء يجب أن يُقال عن هؤلاء الناس الذين نسميهم «أصحاب الفكرة الواحدة» والذين خلقوا عالمهم الصغير الخاص بهم داخل مجال محدد. بلا شك، كل هؤلاء لديهم شعور، بأنهم

يقومون بعمل حقيقي من أجل العالم. عمل حقيقي ومفيد وضروري وليس مجرد مسرحية أو عرض ترفيهي. والعديد من هؤلاء الأشخاص، من خلال هذا النشاط المتواصل والشاق، وغير الصحي أحيانًا، يعيشون لسنوات طويلة، في حين أن الرجال والنساء العاطلين عن العمل والمرفهين في المجتمع من الطبقة الأقل فائدة والأقل إنتاجية في العالم المعاصر، يجب أن يبذلوا الكثير من الجهد لاستعادة صحتهم.

إذًا، من مكتسبات عالمنا المعاصر هو الاقتناع بأن العمل الموجه جيدًا، هو الشرط الضروري والشامل للصحة الجسدية والفكرية، وهو أيضًا الطريق إلى السعادة. وبناءً على هذا، لا يجب اعتبار الطبقة العاطلة، فئة متفوقة ومفضلة، ولكن يجب اعتبار أفرادها معيبن روحيًا ومرضى فقدوا المبدأ الصحيح لتوجيه حياتهم. بمجرد أن يصبح هذا الرأي عامًا ويتم التأسيس له، عندها فقط، ستبدأ الحقبة الأفضل للعالم. وحتى ذلك الوقت، سيعاني العالم من العمل الشاق للبعض، وتحقيق التوازن بين العمل غير الكافي للآخرين، ولا يزال السؤال هو أي من هذين النوعين في الواقع أكثر سوءًا؟

لماذا إذًا هذه المبادئ التي تشهد عليها تجارب آلاف السنين، والتي يمكن لأي شخص سواء كان يعمل أو لا يعمل أن يختبرها بنفسه، أن تترك انطباعًا عاديًا عن الأديان والفلسفات؟ لماذا، على سبيل المثال، لا تزال هناك آلاف النساء اللائي «يدافعن بشغف شديد عن تعاليم الدين»، ومع ذلك وبالمعارضة لأوامر صريحة دينية يكرسون يومًا واحدًا للعمل، أو ربما لا يكرسون أي يومٍ على الإطلاق، وستة أيام للتقاعس المتكرر عن

العمل؟ كل هذا ينبع إلى حد كبير من التقسيم والترتيب غير العقلاني للعمل، والذي قد يصبح بالتالي عبئًا.

## التغلب على صعوبات العمل

هذا يعيدني إلى عنوان مقالتي. «فن العمل» والتي سوف تكون مفيدة فقط لمن هو مقتنع بالفعل باقتراحي الأول أن بعض العمل ضروري، وأيضًا للمنغمسين طوعًا في العمل. والذين يرون عكس ذلك، سوف يدهشون عندما تواجههم بعض العوائق. ومع ذلك، فإن العمل مثله مثل أي نوع من الفنون، له طرق إبداعية وبواسطتها يستطيع أن يخفف المرء من تعب المهنة إلى حد كبير، ليست فقط الرغبة في العمل، بل حتى القدرة على العمل والتي من الصعب جدًا الحصول عليها حيث يفشل العديد من الأشخاص في ذلك تمامًا.

إذًا، فإن الخطوة الأولى نحو التغلب على الصعوبات تكمن في إدراك الصعوبات نفسها. ولكن ما هي الصعوبات التي تعيق العمل بشكل رئيسي؟ إنه الكسل. كل رجل كسول بشكل فطري، دائمًا ما يبذل جهدًا للارتقاء فوق حالة الكسل الجسدي المعتادة. الكسل الأخلاقي، باختصار، هو خطيئتنا الأصلية. لا أحد مغرم بشكل طبيعي بالعمل، هناك فقط اختلافات في الاستجابة الطبيعية للعمل وأحكامه. حتى أكثر الأشخاص نشاطًا في التفكير، إذا استسلموا لفطرتهم، سوف يرغبون في القيام بأشياء أخرى بدلًا من العمل.

لذلك يجب أن ينطلق حب العمل من دافع أقوى من دافع الكسل

الجسدي. ويمكن العثور على هذا الدافع بإحدى طريقتين؛ قد يكون دافعًا ثانويًا مثل الشغف، الطموح، السعي وراء تحقيق الذات والشعور بضرورة كسب لقمة العيش. أو قد يكون دافعًا رئيسيًا نييلاً مثل الشعور بالواجب أو الحب، نحو العمل نفسه أو الأشخاص الذين يتم العمل من أجلهم. الأشخاص الطموحون والباحثون عن الذات غالبًا ما يكونون عاملين مجتهدين للغاية. إذا كان على المرء أن يعطي لشاب في مقتبل حياته العملية نصائح فيجب أن تكون كالتالي:

أولًا: «قم بعملك انطلاقًا من الإحساس بالواجب أو اعمل ما تحب، أو من أجل حبك لأشخاص محددين».

ثانيًا: «اربط نفسك بالاهتمام بحياة البشر والإنسانية، بالحركات الوطنية من أجل الحرية السياسية، لإعلاء قيم الدين، لرفع المهتمين إلى الطبقات الأعلى، للقضاء على السكر، لاستعادة السلام الدائم بين الأمم، للإصلاح الاجتماعي، لإصلاح الحياة السياسية، ولإصلاح السجون. ستكتشف في تلك الرحلة بدوافع من داخلك، أنك تحتاج للمساعدة وسوف تجد رفقة تساعدك في عملك. لا ينبغي أن يكون هناك شاب بين الدول المتحضرة ولا يزاوُل أيًا من الأنشطة السابق الإشارة إليها! إن الوسيلة الوحيدة لترقية الشباب وتقويته وتدريبه على المثابرة، أن يتحرر الإنسان في وقت مبكر من الحياة، من حبه لنفسه ولا يعيش لنفسه بأنانية لا ينتج عنها أي عمل بناء».

وأحب أن أشير إلى أن أكثر الوسائل فاعلية للتغلب على كسل المرء في العمل هي «قوة العادة». لماذا يجب أن نستخدم هذه القوة الجبارة في خدمة طبيعتنا الجسدية ولا نستخدمها في حياتنا العملية أيضًا؟ في

واقع الأمر يمكن للمرء أن يُعوّد نفسه على العمل بصورة معينة؛ بضبط النفس، الالتزام بالفضيلة، الصدق، الكرم، وأن يحاول بقدر استطاعته التغلب على الكسل، وعدم التساهل مع الذات أو الإسراف أو المبالغة أو البخل أيضًا. وهنا يجب أن يقال إنه لا توجد فضيلة يتم امتلاكها بشكل آمن حتى تصبح عادة. وعندما يدرّب الإنسان نفسه على عادة العمل، فإن مقاومة الكسل تتضاءل باستمرار حتى يصبح العمل أخيرًا ضرورة حياتية. عندما يحدث هذا، يصبح المرء خاليًا من جزء كبير جدًا من متاعب الحياة.

هناك بعض القواعد الأولية التي يمكن للمرء من خلالها أن يجد طريقه إلى خَلْق عادة العمل هذه، وأول هذه القواعد هو معرفة كيفية البدء، إن القرار بأن يكرس المرء نفسه للعمل ويوجّه عقله لهذا الهدف، هو أصعب جزء من العمل. عندما يأخذ المرء قلمه في يده ويقوم بأول خطوة يصبح عمله كله أسهل بالفعل. هناك أشخاص يجدون دائمًا شيئًا صعبًا عند بدء عملهم وهم مشغولون جدًا بالتحضيرات والتي يكمن وراءها كسلهم، فيضيع وقت كثير بلا فائدة ومن ثم فإن الإثارة الفكرية وحتى الجسدية النابعة من الإحساس بعدم كفاية الوقت الذي يمكن للمرء فيه القيام بالعمل، يضر بالعمل نفسه. ينتظر أشخاص آخرون بعض الإلهام للبدء في القيام بالعمل والذي في الواقع من المرجح أن يأتي عن طريق العمل نفسه أو أثناء القيام به. إنها على الأقل تجربتي أن المرء أثناء قيامه بالعمل نفسه يأخذ نظرة مختلفة تمامًا عن تلك التي توقعها قبل القيام به. وأن المرء لا يصل إلى الكثير من الأفكار المثمرة والجديدة في أوقات راحته كما يفعل أثناء قيامه بالعمل نفسه.

من هنا يجب اتباع قاعدة مهمة وهي قاعدة «عدم تأجيل العمل»، أو القبول بالاستخفاف به بحجة الانزعاج الجسدي أو الفكري. ولكن يجب تخصيص وقت محدد ومدروس جيدًا كل يوم للقيام بالعمل. وإذا كان «الرجل العجوز» كما يسمية بعض رجال الدين كتعبير عن الجزء الكسول بداخل الإنسان، ماكرًا بما يكفي لإيهامه أنه يجب عليه القيام ببعض الأعمال في أوقات خاصة ومحددة، فبذلك لا يمكنه أن يريح نفسه تمامًا. لحل هذه المشكلة يجب على المرء القيام بما هو ضروري كل يوم. يجب الإشارة هنا أن هناك عدد كبير من الرجال المنهمكين في أعمال فكرية منتجة يضيعون وقتهم ويفقدون الشعور بالسعادة، بتكريس أنفسهم وأوقاتهم لترتيب أو عرض أعمالهم. كقاعدة عامة، لا يفضل وضع عنوان أو مقدمة أي أعمال فنية أو فكرية بعيدة عن تخصص المرء. لأنه على العكس من ذلك، فإنه سيؤدي إلى النظر إليه على أنه عملٌ غير مناسب لعنوانه. حتى لو كان هذا موضع شك، فإن النصيحة جيدة بأي حال من الأحوال.

إن أعمال المرء وعناوين أعماله الفنية يجب أن تكتب أخيرًا، وليس أولًا، بل يبدأ بما يعرفه تمامًا عن عمله وأكثر دراية به.

لنفس السبب، عندما يقرأ المرء كتابًا، من الجيد حذف المقدمة في القراءة الأولى وغالبًا الفصل الأول. من ناحيتي لم أقرأ أي مقدمة أبدًا حتى أنتهي من قراءة الكتاب أولًا. واكتشفت أنه بدون استثناء تقريبًا بعد قراءة الكتاب ثم إلقاء نظرة على المقدمة، لم أفقد شيئًا بعدم قراءتي لها. بالطبع يجب أن يقال إن هناك كتبًا تعتبر المقدمة أفضل جزء منها. ومع ذلك، يمكن القول أيضًا إنها لا تستحق القراءة على الإطلاق.

والآن يمكننا أن نأخذ خطوة أخرى بأمان وأضيف أنه، باستثناء مقدمة عملك أو معالجته الرئيسية من الأفضل أن تبدأ بالجزء الأسهل بالنسبة لك. الشيء الرئيسي هو أن تبدأ. قد يتقدم المرء ببطء في عمله من خلال القيام به بشكل غير منهجي، لكن هذه الخسارة يعوضها كسب الوقت. يجب أيضًا إضافة قاعدتين أخريين. القاعدة الأولى «لا تفكر في الغد» لأن الغد يجب أن تفكر فيه في الأشياء الخاصة به. لقد وهبَ الإنسان موهبة الخيال، وللخيال عالم أكبر بكثير من قدرة المرء. فمن خلال خيال المرء يرى أن عمله كله يقع أمامه كمهمة يجب تحقيقها دفعة واحدة بينما قدرته لها حدود. كقاعدة عامة، فمُ بعملك كل يوم وسيأتي الغد في وقته ومعك ستأتي قوة لممارسة أعمال الغد.

القاعدة الثانية: في العمل الفكري يجب على المرء أن يتعامل مع مادته الإبداعية بدقة بدون أن يستنفدها حتى لا يبقى شيء آخر يقوله أو يقرأه. لا تكفي قوة الإنسان في هذه الأيام لتحقيق الدقة المطلقة، ولكن أفضل مبدأ هو أن تكون بارعًا تمامًا في منطقة أو شيء ما نسبيًا، فمَنْ يحاول أن يفعل الكثير عادة ما ينجز القليل.

شرط آخر للعمل الجيد هو ألا يصر المرء على العمل عندما يفقد العمل نضارته ومتعته. لقد قلت بالفعل إنه يمكن للمرء أن يبدأ بدون متعة، وإلا فلن يبدأ المرء أي عمل على الإطلاق. لكن يجب على المرء أن يتوقف بمجرد أن يؤدي العمل نفسه إلى الإرهاق. هذا لا يعني أنه يجب على المرء أن يوقف كل عمل يجلب له التعب ولكن يجب فقط أن يتوقف عن نوع العمل المرهق الذي يتعبه. التغيير في العمل منعش

مثل الراحة تمامًا، وبدون هذه الخاصية المميّزة للطبيعة البشرية، بالكاد يحقق الإنسان أي شيء.

علاوة على ذلك، لكي يكون المرء قادرًا على القيام بالكثير من العمل، يجب عليه أن يقتصد في قوته، والوسيلة العملية لذلك هي عدم إضاعة الوقت في أنشطة غير مجدية. أمثله على هذا النوع من التبذير في إضاعة الوقت الإفراط في قراءة الصحف والتكريس المفرط للاجتماعات. على سبيل المثال، يبدأ كثير من الأشخاص صباحهم -وهو أفضل وقت لديهم للعمل- مع الصحيفة! وينهون يومهم بشكل منتظم في نادٍ أو لقاءات اجتماعية. يقرؤون كل صباح الصحيفة بأكملها أو ربما معظمها، وسيكون من الصعب أن يقرأ الأوراق المهمة في اليوم التالي لتلك القراءة. لذلك، يجب على أي شخص يرغب في القيام بالكثير من العمل أن يتجنب كل احتلال عديم الجدوى لعقله.

بالنسبة للعمل الفكري والذي أهتم به بشكل خاص طوال الوقت، هناك عادة أخيرة ومهمة، وهي عادة «المراجعة». يتم استيعاب كل عمل فكري أو إبداعي في البداية من خلال خطوطه العامة، وبعد ذلك تكشف جوانبه الدقيقة عن نفسها، ويصبح العمل أكثر سهولة واكتمالاً؛ لذا، يجب أن يكون مسعى المرء الرئيسي كما قال كاتب مشهور: «ليس تحقيق الإنتاجية المستمرة التي لا تسمح لنفسها بالتوقف، بل أن يسعد المرء بما يمكن أن يبدعه».

إن مفهوم العمل الذي تم التعبير عنه، يواجه صعوبات اعترفت بها مناقشتنا بالفعل من أجل العمل، وإن الهدف الأسمى للعمل، هو

استمرارية عمل العقل أثناء الصناعة الحقيقية والحفاظ على تفاني الفرد. بعد توقُّف المرء عن العمل لفترات قصيرة، يقوم بعمله بشكل عفوي بدون وعي. ويبدو حينها أنه تخلص من العديد من الصعوبات فجأة، فتندفق على رأسه الأفكار المبتكرة والرائعة، ويتم تجديد عمل المرء بسهولة، وكأنه قام بقطف ثمار نضجت في هذه الفترة دون جهد من جانبه. هذه هي مكافأة من مكافآت العمل الكثيرة.

فقط من يعمل، يعرف ما هي متعة ولذة العمل. الراحة التي لا تتبع العمل مثل الأكل بدون شهية. أفضل الطرق وأكثرها إمتاعاً وأرخصها لتمضية الوقت هي أن تكون مشغولاً بالعمل المنتج والمفيد. وكما هو الحال في العالم اليوم، أتوقع أنه في نهاية القرن ستكون هناك ثورة اجتماعية من خدم الطبقة الحاكمة. تمامًا كما حدث في بداية القرن الماضي ثورة اجتماعية أعطت للمواطنين الكادحين انتصارهم على النبلاء العاطلين عن العمل. وحيثما تغرق أي طبقة اجتماعية في الكسل، ويعيش مثل أولئك العاطلين في الماضي على الدخل الناتج عن عمل الآخرين، يجب أن يستسلم هؤلاء المواطنون غير المنتجين مرة أخرى، حيث يجب أن تكون الطبقة الحاكمة في المستقبل هي الطبقة العاملة.

المقال الثاني

كيف تخوض معارك الحياة



أي شخص في هذه الأيام، حتى الأشخاص ذوو النوايا الحسنة فَقَدُوا إيمانهم بالمثالية. فهم يعتبرونها شكلاً من أشكال الفلسفة التعليمية للأجيال الجديدة الشابة ولكنها تعتبر منهجاً ذا فائدة قليلة في الحياة. من الناحية النظرية، ولأغراض تعليمية يقال إن المثالية لديها الكثير لنثني عليها، ولكن من الناحية العملية تصطدم المثالية مع الأشياء المادية بشكل قاسٍ. وهكذا يقسم الأشخاص ذوو النوايا الحسنة الحياة إلى قسمين: في أحدهما نغمس في النظريات والمشاعر الجميلة النبيلة، والقيم الفضلى، والتي يجب علينا تشجيعها. وفي القسم الآخر، نستيقظ بقسوة من هذا الحلم ونتعامل مع الواقع الصعب بأفضل الطرق التي في استطاعتنا. وقد تناول كانط<sup>(1)</sup> الفيلسوف الألماني الشهير في إحدى كتاباته الموجزة هذه الأفكار قبل مائة عام.

قام «كانط» باختبار المقولة التي كانت في ذلك الوقت مألوفة: «قد يكون هذا جيداً من الناحية النظرية، ولكن لا يمكن تطبيقه عملياً»؛ وأظهر أن تلك المقولة عبرت عن تناقض سخيف لا يليق بأي إنسان يفكر.

---

(1) إيمانويل كانط: هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر. عاش حياته كلها في مدينة كونينغسبرغ في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة. وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية، أكثر أعماله شهرة هو كتابه نقد العقل المجرد الذي نشره سنة 1781 وهو على مشارف الستين من عمره، يبحث كانط في هذا الكتاب ويستقصي محدوديات وبنية العقل البشري ذاته. قام في كتابه هذا بالهجوم على الميتافيزيقيا التقليدية.

ومع ذلك، فإن الواقعية المنطقية في يومنا هذا لا تهتم بالافتراضات النظرية. بل على العكس تهتم بالتحول من الافتراضات النظرية إلى الحقائق القاسية مثل النضال من أجل الوجود، حيث لا يُسَمَّح باللامبالاة تجاه الآخرين ولا المصلحة الذاتية المطلقة. ولكن عندما ينظر المرء إلى الظروف الحقيقية للحياة، يبدو أن تلك الافتراضات مطلوبة بشكل إيجابي إلى حدٍّ ما. يقول الواقعيون المعاصرون: «إن العالم الذي نراه هو عالم لا يمكن أن ينجح فيه سوى عدد قليل، ويجب أن يفشل فيه الكثيرون حيث لا توجد أشياء جيدة تكفي الجميع» والسؤال الآن، إذا كانت هذه العبارة صحيحة أم خاطئة؟

يجب الاعتراف بأنه عالم قاسٍ، غير عقلاني وغير عادل، ومع ذلك ليس للفرد الحق في الموافقة على وضعه في هذا الكون ولا تغييره. مشكلته الوحيدة هي التأكد من أن وجوده في هذا العالم أن يصبح كـ «المطرقة» أي القوة المؤثرة في العالم. هذا هو جوهر الحكمة الدنيوية التي هي عقيدة العديد من المثقفين اليوم ومعها تختفي بالطبع الحاجة للتربية الأخلاقية أو الدينية، ويتم التخلي عن هذه التعاليم في المدارس. قدّم أحد المعلمين الاقتراح بأنه بدلاً من التعليمات والوعظات الدينية، فإنه يجب استبدالها بلافتات عن اللوائح والقوانين الحكومية في زوايا الشوارع. في ظل نظرية التعليم هذه، سينمو الشباب متحجري القلب وعمليين للغاية، وسيتم تدريبهم على التحصيل، وسيكونون متحررين من كل المشاعر النبيلة التي قد تكون عائقاً في طريقهم. يجب الاعتراف بأن الكثير من الشباب سيفقدون قوتهم الجسدية والفكرية والأخلاقية في وقت مبكر من حياتهم، وسيحزن كثيرون، ربما بعد فوات الأوان،

على التضحية بشبابهم من أجل ما لا يستحق السعي وراءه. وفي أحسن الأحوال، سيكتسبون ممتلكات يجب الدفاع عنها ضد آلاف من المنافسين وهذه الممتلكات ستجلب معها الحزن للذين يمتلكونها والذين حُرِّموا منها أيضًا. علاوة على ذلك، لن يحملوا السلام والسعادة لأحد ويبدو أن هذه هي وجهة نظر الحياة التي أصبحت الآن شائعة جدًا بيننا، والتي نسميها وجهة نظر «الإنسان العملي».

لكن ما هي المثالية؟ هي قناعة داخلية وشكل من أشكال الإيمان، المثالية ضرورية للغاية لبقاء العالم؛ ومع ذلك لا يمكن إثبات صحتها أبدًا ولا يحتاج مَنْ يؤمن بها إلى دليل. علاوة على ذلك، لا أحد يصبح مثاليًا عن طريق دراسته لماهيتها، ولا عن طريق التفكير المنطقي بها. ولأن مصداقية العقل البشري نفسه يتم إثباتها لنا فقط من خلال التجربة، تظل حقيقة الدين نفسها غير مثبتة إلا حينما تقوم القوة الأخلاقية التي وراءه بإثباته. إن الحقيقة يجب أن تُقترَن بالقوة، وبدون هذه القوة، ليس هناك إثبات نهائي على وجود هذه الحقيقة. حتى حواسنا لا تستطيع إقناعنا، ما لم تؤكد لنا تجاربنا وتجارب الآخرين أننا نستطيع أن نثق في حواسنا، وأنها لن تخدعنا. إن ما يقنع المرء هو تجربته الشخصية، وما يوقظ فيه الرغبة والاستعداد الداخلي للإيمان بتجربته الخاصة، هو شهادة الآخرين الذين مروا بهذه التجارب بأنفسهم أيضًا. هناك رسالة قصيرة كتبها الجنرال الروسي فون كلينجر<sup>(2)</sup>، لجوته (أحد أشهر الأدباء الألمان المتميزين) والذي كان في شبابه صديقًا له،

(2) كلينجر: شاعر وكاتب مسرحي ألماني، نشأ في عائلة فقيرة، إلا أنه استطاع من خلال تشجيع البروفيسور تسنك أن يلتحق بمدرسة ثانوية، وأن يبدأ دراسة الحقوق في جيسين عام 1774، وذلك بفضل المساعدات المالية التي تلقاها من عائلة جوته.

والذي يعطي شهادته حول المثالية في الحياة العملية. يمكن العثور على المثالية في أعمال «فون كلينجر» التي قلما تم قراءتها تحت عنوان: «كيف يمكن التغلب على العالم بدون خداع، وفي الصراع الدائم مع الشر». محتويات الرسالة عبارة عن سلسلة من المقالات الثقيلة المهمة، والتي اخترت منها عددًا كالاتي: يقول فون كلينجر لجوته:

«أولًا: يجب على الشخص الذي قد يستطيع التغلب على العالم أن يتخلى عن التفكير فيما يسميه الناس بالسعادة، وأن يقوم بواجباته، بكل قوته، دون أي خوف أو أنانية أو سعي وراء الذات. عندما يتطلب الأمر العدل والتعامل الصحيح، يجب ألا يكون هناك أي تمييز بين شخص كبير أو صغير، مهم أو غير مهم، ويجب أن يكون عقل وقلب المرء نقيين حتى لا تلوث الأنانية أفعاله.

ثانيًا: من أجل حماية قوته ونقاء سلوكه، يجب أن يكون المرء متحررًا من الرغبة في السطوع والغرور والبحث الدءوب عن الشهرة والقوة. تنبع معظم الحماقات البشرية من القلق والطموح؛ يحبط الطموح الأعمى أحيانًا معنويات كل من يسيطر عليه، وأولئك الذين يحققون غاياتهم من خلاله. إن النقد والتجريح اللاذع ليس لهما القدرة على إحداث الجروح النفسية العميقة، كتأثير الانتظار الأحمق للثناء والمدح من الآخرين.

إن الشخص النقي في دوافعه، سيسمح لنفسه بأن يكون واضحًا فقط عندما يتطلب الموقف منه ذلك. وبالنسبة للآخرين، سيعيشون حياة العزلة مع عائلاتهم بين كتبهم، مع عددٍ قليلٍ من الأصدقاء والأحباب. وهكذا يتجنبون الصراع مع الآخرين حول الأشياء التافهة التي تثير

قلق كثير من الناس؛ ربما يكون من المقبول أن يشعر المرء بالقلق عند التعرض لمثل هذه الأمور، لعدم قدرته على تحديد الانتماء لأي من الفريقين.

إن حياته لا تمس دائرة المجتمع، يطلب من المجتمع فقط السماح له بالقيام بواجبه، ومن ثم السماح له بالعيش في سلام. قد يكون هذا هو السبب في أنه سيثير الآخرين على حسده أو كراهيته، ولكنه سيكون أيضًا حسودًا ناظمًا على الجميع، يرى نفسه تافهًا بلا قيمة، ومصدر إزعاج للجميع!

من ينسحب من تفاهات الأمور يحصل على الكثير من مكتسبات الحياة. بل يحصل على أكثر مما يتوقع أو يقصد، لأنه يربح أخيرًا ما يطلق عليه الناس «السعادة».

يقول فون كلينجر أيضًا: «يجب على المرء أن يترفع عن كل دلالات الرغبة في الظهور كمُصلح أو مرشد اجتماعي، ويجب ألا يجادل هؤلاء الذين لا يفقهون شيئًا إلا المجادلة، يجب أن يتحدث عن نفسه لنفسه فقط ويفكر في نفسه فقط».

يختتم فون كلينجر رسالته لجوته<sup>(3)</sup> بقوله: «لقد طورت شخصيتي الخاصة وتجاري الشخصية حسب ما سمحت به السلطة والسلوكيات المحيطة للبشر، وقد فعلت ذلك بجدية وصدق. لذلك فقد وصلت إلى ما يسميه الناس بالسعادة والازدهار. لقد تعاملت وراقبت نفسي بعمق بلا هوادة أكثر من معاملة ومراقبة الآخرين. لم ألعب أبدًا دورًا لم أشعر

(3) يوهان فولفغانغ فون جوته هو كاتب وشاعر اللساني شهير ولد عام 1749، ومن أشهر أعماله ملحمة فاوست.

بالميل إليه، ولم أعبّر يوماً عن قناعاتي الشخصية دون خوف، لقد تمسكت بشخصيتي تلك جيداً، ولذلك، أنا لا أخشى أن أكون أو أفعل عكس ما تطلبه قناعاتي».

«المرء في مأمن من إغراءات الآخرين فقط عندما لا يستطيع المرء أن يغيري نفسه. لقد تحملت العديد من المسؤوليات، ولكن في نهاية كل منها قضيت بقية وقتي في عزلة عميقة على انفراد تام».

كان فون كلينجر كاتب هذه المقالات يتعامل بشكل خاص مع الحياة السياسية بدون أي أساسٍ فلسفي، قدّم هذا الكاتب مقالاته الفلسفية ببساطة، كنتاج لمسيرته المليئة بالمغامرة والتجارب الشخصية، وبالتالي فإن شهادته أكثر قيمة مما لو كانت الشهادة صادرة من قلم فيلسوف أو عالم دين. لم أعتزم أن أقوم بترجمة هذه المقالات لأجعلها أفكار تجريدية، أو أفكار أقل واقعية وإقناعاً. ولكنني رغبت فقط في شرحها مع بعض التطبيقات العملية.

فيما يتعلق باقتراح فون كلينجر الأول، يقال إن المثالية الحقيقية ليست خداعاً للذات فيما يتعلق بالواقع، أو التجاهل المتعمد للواقع، أو الاختباء من الواقع، أو خَلْق عالم خيالي للنفس مغاير للواقع. على العكس من ذلك، يتم الوصول إلى المثالية من خلال تفسير أعمق للعالم، ومن خلال الانتصار على الذات. لأننا جزء لا يتجزأ من العالم ولا يمكننا التغلب على الكل إلا إذا انتصرنا أولاً على الجزء الخاص بنا بالاستعانة بالمبادئ والسلوكيات الصحيحة.

ومن ثم فقد وضع فون كلينجر المعايير الصحيحة للنجاح. «تيريز»

أحد معاصرنا الذي حقق نجاحًا كبيرًا في حياته العملية، قال: «الرجال المبدعون لا يحتاجون إلى النجاح. النجاح ضروري فقط للمتأمرين». بعبارة أخرى: لا يمكن تحقيق نصر حقيقي على العالم من خلال هذا النوع من النجاح والذي يبذل فيه الرجال الكثير من الجهد. من يقرر أن يصبح طموحًا، قد يتخلى عن راحة البال أو السلام مع الآخرين، لصالح احترامه لذاته.

النجاح الحقيقي في الحياة هو بلوغ أعلى درجات الكمال البشري مع تحقيق النشاط الحقيقي والمثمر، والذي قد ينطوي بالضرورة وبشكل متكرر على فشل ظاهري. النجاح بالنسبة لفون كلينجر يعني مهنة مشرفة، مع النجاح فيها. يُنظر إلى العمل على أنه حالة الكمال في الحياة، وعلى الإنسان الشجاع الشريف أن يتمنى السعي والوصول إلى تلك الحالة.

النجاح المتواصل ضروري فقط للجبناء. في الواقع، يمكن للمرء أن يذهب إلى أبعد من ذلك ويقول إن السر الأكبر للنجاح في الأمور المهمة يكمن غالبًا في الفشل. الرجال الذين استحوذوا على إعجاب العالم بشكل كامل، والذين كانوا الأكثر شهرة في التاريخ، ليسوا أولئك الذين وصلوا إلى أهداف الحياة بالنجاح وحده، من الممكن أن يُذكر قيصر ونابليون كأمثلة على الاستبداد، لولا بروتس وموقعة واترلو. القديسة هيلانة<sup>(4)</sup>، خادمة أورليانز، التي لم يكن سيتم ذكرها كامرأة مؤمنة صالحة لولا استشهادها في سبيل الدين، ولو فشل غزو قرطاج، ما صار هانيبال قائدًا نبيلًا.

(4) القديسة هيلانة: هي والدة الإمبراطور الروماني قنسطنطين الكبير.

تشارلز الأول ملك إنجلترا يُنظر إليه كخائن، وكرومويل يحظى بمكانة كبيرة في التاريخ الحديث، ومهتربة شرفية كبيرة من قبل العديد من الأشخاص الذين لا يرونه الشخصية الأكثر بطولة في التاريخ الحديث! لو كان كرومويل مات على المقصلة ومات تشارلز على العرش، لكانت هذه النظرة انعكست تمامًا! حياة الإمبراطور فريدريك الثالث هي مثال آخر وسيكون هناك أمثلة أخرى أكثر إثارة للإعجاب.

ال فشل مُهمٌ للنجاح، فبدون الفشل أحيانًا، قد تغرق الحياة في مستنقع الروتين والرتابة. ولا ينبغي أن يُقترن هذا النوع من الفشل بسوء الحظ.

فيما يتعلق بالاقتراح الثاني لفون كلينجر، هناك ما يجب إضافته: إنه لا يوجد شخص يبحث عن الذات يصل في نهاية الأمر لمبتغاه الذي يرغب فيه. وإنه من المدهش أن نرى ما يمكن للمرء أن ينجزه عندما يولي اهتمامه وطاقته بالكامل لفعل شيءٍ واحدٍ. ومع ذلك، فإن ما يرغب به الأشخاص الباحثون عن الذات ليس الثروة، أو الشرف، أو القوة، أو العلم الذي يصلون إليه لاحقًا. إنهم يقدرّون هذه الأشياء فقط باعتبارها المتطلبات الأساسية اللازمة لتحقيق السعادة. ولكن في الحقيقة، إن السعادة لا تأتي من خلال هذه الأهداف، بل من المحتمل أن تجلب هذه الأهداف التعاسة. عندما يتم بلوغ هذه القناعة في النهاية، ربما تتخلي الروح الباحثة عن ذاتها عن هدفها.

من بين جميع الباحثين عن الذات، يوجد الأسوأ حظًا بين المتعلمين. عندما يقفون على الدرجة السفلية من السلم الذي يرغبون في صعوده، فيستهلكهم حسدٌ من فوقهم؛ ومن بين كل المشاعر التي تحط من قدر

الرجل في عينيه، فإن الحسد هو الأكثر إذلاًلاً. من ناحية أخرى، عندما يصعد الباحثون عن السعادة إلى القمة، فإنهم يشعرون بالقلق والخوف المستمر من أولئك الذين يتسلقون نحوهم والذين يعرفون أفكارهم وأغراضهم جيداً بناءً على تجاربهم الشخصية. إذا كانوا يبحثون عن الأمان من خلال إحاطة أنفسهم بالمتملقين، فلن يكونوا في مأمن من الخيانة؛ لذا، أصبح واضحاً لهم أنهم عرضة للسقوط، فلا أحد سوف يهتم بمساندتهم. أخيراً، إذا أغلقوا أذانهم أمام الأصوات المزعجة المنبعثة من داخلهم، من ضمائرهم وانغمسوا في حبهام المفرط لذواتهم، فإنهم سيفقدون صفاتهم الأكثر أهمية للنجاح.

إلى جانب كل هذا، فإن فُرص نجاح الباحثين عن الذات ضئيلة. لا يحصل واحد من كل عشرة على ما يرغب فيه، وحتى أولئك الذين نسميهم محظوظين، عدد قليل منهم، سوف يصيبهم الإحباط حتى الموت. لذلك، ليس من الضروري ذكر أمثلة على الفاشلين منهم لأن الجريدة اليومية تنقل أخبارهم إلينا كل صباح.

منذ زمن بعيد، وصفَ أحد رجال الدين هذه النتيجة غير المرضية للحياة والجهد بكلمات كلاسيكية قد نكررها: «لقد زرعت كثيراً، وجنيت القليل؛ أنتم تأكلون، لكنكم لا تشبعون، أنتم تشربون، ولكنكم لا تترتوون من الشراب، أنتم تلبسون، ولكن الملابس ليست دافئة، ومن يتقاضى الأجرة يضعها في كيس به ثقوب».

علاوة على ذلك، لا يوجد شيء مُرهق مثل جهد الباحث عن الذات. الشغف الذي يتطور بمرور الوقت يصبح كالحمى التي تحرق حيوية المرء. من ناحية أخرى، تتجدد الصحة البدنية من خلال نسيان

الأعمال التي لا تستهدف المنفعة الشخصية. وتزدهر الصحة أيضًا من خلال القيام بالخدمات غير الأنانية التي يتم القيام بها للآخرين لتحقيق غايات نبيلة. ويميل الأشخاص إلى المساعدة في تلك الخدمات غير الأنانية بصدق. وعلى الرغم من أن بعض الأشخاص يعملون بجدية ولا يلجؤون أبدًا إلى المنتجات الصحية، فإنهم يعيشون حتى سن الشيخوخة، بينما يقضي أشخاص آخرون نصف السنة أو ربما السنة كلها في المنتجات، ومع ذلك يبقون بلا راحة. إن معظم الأمراض العصبية في عصرنا ناتجة عن الحياة المتمركزة حول الذات، وعلاجها الحقيقي يجب أن يكون من خلال تجديد الإرادة والنشاط الذهني.

فيما يتعلق باقتراح فون كلينجر الثالث، يقال إن الميل إلى العزلة ضروريٌ للغاية ليس فقط من أجل السعادة، ولكن من أجل التطور الهادئ للحياة الروحانية للإنسان. السعادة التي يمكن تحقيقها والتي تكون مستقلة عن أي تغييرات في الميول أو الأفكار توجد في حياة كرسر ت طرح أفكار وأعمال مسالمة موجهة نحو غايات عظيمة ومهمة. ومن أجل الوصول إلى تلك الحياة ذات الأهداف العظيمة لا بُدَّ من الانسحاب من الحياة الاجتماعية غير المثمرة. ويقول جوته «بخلاف تلك الحياة ذات الأهداف الهامة والنبيلة، جميع الأشياء الأخرى هي عبارة عن غرور ووهم». من خلال مثل هذا المسار في الحياة، يهرب المرء تدريجيًا من تقلبات الحياة بانفصاله الاجتماعي عن الناس، والاعتقاد ألا يأخذهم على محمل الجد. فينظر المرء بهدوء إلى التغيُّرات في الآراء والميول من حوله مع تجنب الشعبية الجماهيرية أو حتى السعي وراءها.

آخر فقرات رسالة فون كلينجر لجوته، يمكن القول إنها تحتوي

على فلسفة حياته الشخصية. بالنظر إلى الناس كأفراد، تبدو حياتهم مليئة بالتناقضات؛ لكن إذا راقبناهم جميعًا معًا، فإن حياتهم تصبح متشابهة إلى حدٍ كبيرٍ. يعيش بعض الناس من الطبقات الغنية والطبقات الفقيرة بوعي أو بغير وعيٍ حياة حيوانية فقط. هؤلاء الأشخاص ببساطة يتبعون المسار الذي تشير إليه طبيعتهم الجسدية خلال فترة حياتهم الصغيرة، ولا يعرفون أي مسار آخر للحياة غير ذلك. وتسعى مجموعة أخرى من الناس دائمًا إلى الهروب من النهاية غير المرضية للحياة. يصف «دانتي» الشاعر والفيلسوف الإيطالي المعروف في أول جزء من عمله الفني الشهير «الكوميديا الإلهية» بشكل جميل جدًا، هؤلاء الباحثين عن الذات وعن الحياة الأفضل؛ وفي الواقع، هذا النوع من البحث يخلق التجربة الروحانية لجميع الشخصيات العظيمة.

الخطوة الأولى في طريقة الحياة تلك تبدأ عندما يصبح المرء غير راضٍ عن الحياة كما هي ويسعى إلى شيء أفضل. فيسعى العقل إلى مخرج من متاهة العالم ومن الإرهاق بكافة أشكاله، فيقرر التخلي عن العيش في العالم بالطرق التقليدية والسعي إلى السلام النفسي. عندما يصل المرء إلى هذا القرار، فهو في طريقه إلى النجاة، ويبدأ باختبار السعادة الداخلية التي وجدها أخيرًا في الطريق الجديد الذي يسلكه، لأنه أصبح منفتحًا على القوى الروحانية الجديدة بدون معوقات إرادة المرء والتي قد وضعها لحياته سابقًا.

بعد ذلك، يستعد المرء لخطوته الثانية. إنه الصراع الطويل على السيادة بين سلوك الرجل في حياته القديمة وحياته الجديدة. كلاهما لا يزالان داخل المرء نفسه ومشكلته هي إدراك «الرجل الجديد» وإعادة

إلى الحياة بأكملها. الكثير من الأشخاص الذين يسعون إلى حياة أفضل يقدمون على الخطوة الثانية ويبقون هناك طوال حياتهم، وهذا هو السبب في أن العديد من الأرواح التي يتم توجيهها بشكل صحيح لا تزال تعطي انطباعًا بالنقصان وعدم المثالية.

تبقى الخطوة الثالثة للتطور الروحي للمرء، والتي بمجرد اتخاذها بشكل صحيح تؤدي إلى فهم الحياة بشكل تام. إنها مرحلة النشاط العملي لخلق مملكة روحانية. وطالما يعيش المرء لنفسه ويفكر بأسمى الطرق وأنبهها في نفسه وثقافته الذاتية، فهناك بعض الأنانية تشوب أفعاله. أو كما قال جوته: «بينما يجتهد المرء يخطئ. في النهاية، ستتوقف الجهود النابعة من الذات» لا يوجد شيء أكثر إحباطًا، من مبدأ جوته الذي أعجب به الكثيرون، والذي ينص على تفضيل السعي المستمر بعد معرفة الحقيقة على امتلاك الحقيقة نفسها. بمعنى آخر: العطش أو البرد اللامتناهي مقبولًا أكثر من العثور على نافورة منعشة أو دفء الشمس المتسارعة.

ذلك السلوك الحياتي، بعيدًا عن المعتقدات الدينية أو الفلسفية، هو الطريق إلى القوة والسلام الداخلي. من الممكن التمسك بهذا المسار الحياتي وسط كل العُلل المحيطة في العالم من حولنا، وهنا تأتي سعادة المرء عند التوقف عن التفكير في الذات أولًا.

الحياة بهذا الشكل موثوق في مصيرها، مع وجود التجارب الشخصية وإصدار الأحكام على الآخرين الذين ليس في قدرتهم إحداث أي تغيير. ربما ليس من الضروري أن يتم إظهار تلك الحقائق للشباب، لأن تلك الحقائق قد تبدو قاسية بعض الشيء، وبسببها قد يستنكر الشباب كل

مظاهر الواقع، أو رفايته، ويلجأون للعزلة والتقصيف الشديد. يسمح الله للنفوس السامية فقط مثل «فون كلينجر» بالوصول إلى طريقة الحياة تلك هذه بشكل كامل.

لا نحتاج إلى مناقشة ما إذا كان ينبغي تسمية كل هذا بالمثالية أم لا! تسمية من شأنها أن تصد العديد من الأشخاص الأذكياء عن قبولها كفكرة وكأسلوب حياة. إن الإيمان الذي يجلب حالة من السلام النفسي، هو أعظم بكثير مما يوجد في كل المذاهب الفلسفية، ويربحه أولئك الذين قاموا طواعية بالسعي في اكتشاف الذات أملًا في حياة أفضل.

لا يحتاج المرء إلا للقيام بملاحظة طفيفة للحياة أو للتاريخ حتى يقتنع بذلك. يلخص شاعر ألماني ثراء هذا السلام الروحي الذي أظهره رجال مثل فون كلينجر كالتالي:

«الحياة الظاهرية للفرد عبارة عن ضوء وظل، اختلطت الأمور بشكل خاطئ ونسعى لفك الاشتباك بشكل صحيح. ولكن ضمن المتاعب الظاهرية يظهر لنا ضوء داخليًا شافيًا، ورؤية سماوية تعطينا السلام الداخلي».



المقال الثالث  
عادات جيدة



إن أهم تجربة يكتسبها كل مفكر عاجلاً أم آجلاً، سواء في تطوره الفكري الخاص أو من خلال ملاحظته للآخرين هي أن كل فعل وكل فكرة محددة، تترك وراءها رغبة لها تأثير مادي أو ملموس. والذي يجعل الفعل أو الفكرة التالية المشابهة أسهل، والفكرة أو الفعل التالي غير المتشابه أكثر صعوبة. هذه هي لعنة الاعتياد على السلوك السيء والتي تولد المزيد من السلوك السيء. وهي المكافأة الأكيدة والرئيسية للسلوك الجيد، الذي يقوي النزعة إلى الخير ويجعل ما تم اكتسابه مستمراً. الحقيقة الصادمة للحياة تكمن في أن ما فعلناه سابقاً لا يمكننا تغييره أبداً، ما قد حدث سيبقى كما هو. لذلك فإن ماضيها الذي اكتسبناه بسبب أفعالنا في السابق ليس دراما مسلية تنتهي بنهايات سعيدة أو بمصالحة عامة واحتضان، بل تراجيديا تتحكم فيها أفعالنا وأقدارنا.

إذا بدأ المرء في أخذ الحياة بجدية، فسيلاحظ أن مشكلتها الرئيسية لا تتعلق بالأفكار أو الإيمانيات. المشكلة الحقيقية في الحياة هي العادات فقط؛ لذلك يجب أن يكون التعليم موجهاً لتدريب وتوجيه الناس إلى فعل الخير. ليس سهلاً دائماً الاختيار بين الخير والشر لأن العواطف البشرية تكون أحياناً قوية جداً؛ ولكن ما يمكن تطويره هو الغريزة العفوية للخير. فكل ما هو جيد مجرد عادة، وكل ما هو سيئ يتعارض مع الطبيعة. وكل ما يسميه المرء فضيلة أو تقوى ما هو إلا سلسلة من النوايا الحسنة التي يمكن أن يهد بها طريق الشر أو طريق الخير.

ما هي إذًا أهم العادات الجيدة؟ إن العالم الحديث لديه ما يكفيه من المتاعب، ومن الأرجح أن يولي بعض الاهتمام للاقتراحات المبنية على الخبرة العملية؛ لذلك، على سبيل المثال وليس الحصر:

القاعدة الأولى والرئيسية للعادات الجيدة: إن على المرء أن يحاول بإيجابية تنمية العادات الجيدة لديه بدلاً من مجرد الهروب من العادات السيئة بشكل سلبي. هذا هو حال العقل الباطن والعقل الواعي. فيحاول العقل الباطن الهجوم بإيجابية عوضاً عن الرد دفاعياً في أي موقف يستدعي ذلك. كل نجاح يجلب الفرح، بينما مجرد المقاومة بسلبية لن تكون له أي نتائج إيجابية للإنسان. النقطة الأساسية التي يجب فهمها والعمل بها هي القدرة على الوصول لحلول سريعة وموجهة فوراً نحو إنجاز المهام. ما قاله «فولتير»<sup>(5)</sup> الفيلسوف الفرنسي الشهير عن تاريخ الأمم ينطبق بدرجة كبيرة على الحياة البشرية: «لقد لاحظت أن ما قد يفعله المرء في لحظة ما سوف يؤثر على مقدرات حياته فيما بعد».

القاعدة الثانية: الشجاعة وعدم الخوف. لا يمكن أن يكون المرء جريئاً ولا يهاب أي شيء بدون قناعات إيمانية دينية قوية. فالخوف أقل المشاعر الإنسانية قبولاً وأيضاً عادة غير ضرورية؛ لذلك يجب على المرء التغلب عليه بأي ثمن. الخوف لا يمنع حدوث ما يخشاه المرء، بل يستنفد مسبقاً القوة والطاقة التي يحتاجها المرء لمواجهة الشيء الذي يخافه. معظم الأشياء التي نخشى أن نواجهها ليست في الواقع مرعبة

---

(5) فولتير: مفكر و فيلسوف فرنساوى كتب في مجالات كتيره منها الشعر والمسرح والرواية والتاريخ. من أكبر كُتّاب عصر التنوير، حارب الجهل والطغيان ودافع عن الحقوق المدنية وحرية العقيدة. اشتهر بعدائه لتسلط الكنيسة الكاثوليكية. سُجن أكثر من مرة في سجن الباستيل بسبب انتقاده للنبيلاء.

كما تبدو عند النظر إليها من بعيد. ولكن يميل الخيال إلى تصوير الكوارث والمخاوف على أنها واقعية ومستمرة أكثر مما هي عليه في الواقع. إذا إقترب المرء من مشكلة ما وأخذ يقول لنفسه «من المحتمل أن يستمر هذا حوالي ثلاثة أيام»، فسيبرر لنفسه ما يحدث وسيشرع في مواجهة المشكلة بشجاعة. بصفة عامة، فإن أفضل طرق الوقاية من الخوف هو الاقتناع بأن الخوف ما هو إلا حالة نفسية خاطئة بداخلنا، فإذا بحث المرء عن هذا الضعف وتخلّص منه، فسيختفي الخوف أيضًا.

القاعدة الثالثة: يجب على المرء أن يكتسب في أسرع وقت ممكن عادات تفضيل الأشياء الأفضل على الأشياء الأسوأ. كما يجب عليه التخلي بشكل خاص عن توقُّع امتلاك أشياء مختلفة متناقضة مع بعضها البعض في نفس الوقت. هنا يكمن سر الفشل في العديد من المهمن، ولا يجوز للإنسان أن يختار أهدافه في الحياة فقط، بل يجب عليه أن يعمل على تحقيق تلك الأهداف التي يرغب فيها بجدية. بشرط أنه من أجل تحقيق تلك الأهداف والرغبات لا بُدَّ من أن يكون مستعدًا للتنازل عن جميع الرغبات الأخرى التي لا تتفق مع تحقيقها والوصل إليها.

أفضل الأشياء التي يمكن للمرء أن يمتلكها في الحياة والأسهل في الحصول عليها أيضًا هي: المبادئ الأخلاقية، الانضباط الفكري، الحب، الولاء، القدرة على العمل والتمتع به، الروحانيات والصحة الجسدية والممتلكات الدنيوية المعتدلة. لا يمكن مقارنة أي نعمة أخرى بتلك النعم. ولكن هناك بعض الأشياء التي لا تتوافق مع هذه النظرية مثل الثروات الطائلة، السُّلطات الدنيوية، والاعتیاد على الانغماس في اللذات. هذه هي الأشياء التي يرغب فيها الناس بشكل عام والتي غالبًا ما

يحقّقونها، ولكن يجب دائماً تحقيقها من خلال التخلي عن الأشياء الأفضل.

لذلك، يجب على المرء أن يقرر على الفور ودون تردد التخلي عن الرغبة في الثروة، الرفاهية والسُّلطة، وأن يسعى لكسب أشياء أخرى أفضل. بدون هذا التوجُّه والعزم، لا يمكن أن يكون هناك أساس ديني أو فلسفي للتطور الروحاني للإنسان. ما يبدو أنه تطور روحي، قد ينتهي بعدم الواقعية، التردُّد والنفاق أيضًا. لذلك، يجب الاعتراف بأنه كقاعدة عامة، حتى أفضل وأنجح الرجال يكونون غير متحمسين لاتخاذ مثل هذه القرارات أو العمل بتلك القواعد. لكنهم قد يتخلون تحت الضغط والإكراه عن بعض رغباتهم. وقليل منهم يتمتعون بالحكمة الكافية للتنبؤ بالخيارات الصحيحة التي يجب القيام به عاجلاً أم آجلاً، ويحررون أنفسهم وهم لا يزالون صغاراً من الحيرة الطويلة في اتخاذ قرارات متفردة وسريعة.

القاعدة الرابعة: نشر الحب والسعادة للمحيطين بالمرء. هناك عقبة أخرى أمام أي حياة ناجحة وهي الرغبة في الإحساس بمتعة المدح والثناء من الآخرين لأن ببساطة المرء الذي يهيمن عليه أي من هذه الرغبات هو عبد لآراء وأذواق الآخرين. لذلك من الحكمة التخلي عن كل هذه الرغبات دون مساومة، وأن يحل إحساس التعاطف بالآخرين محلهم. ولا بُدَّ من الإشارة أنه إذا تم التخلص من تلك الرغبات الدنيا ولم يحل محلها رغبات أخرى أفضل وأنقى، فعندئذٍ يكون لدينا فراغ لا يُحتمل في الحياة. ولذلك حتمًا وبأي ثمن يجب على المرء أن يجعل من عاداته أن ينشر الحب لمن حوله بدون التساؤل عما إذا كانوا يستحقون هذا

الحب أم لا، لأن هذا السؤال غالبًا يكون من الصعب جدًا الإجابة عليه. الحياة بدون حب تكون بلا سعادة خاصة عندما يكون المرء قد كبر في العمر وافتقر إلى الحب في شبابه. ففي غياب الحب نغرق في اللامبالاة، واللامبالاة تنتقل بسهولة إلى الشعور بالنفور، ونفور المرء يُسمّم الحياة لدرجة أن تصبح الحياة والموت شيئًا واحدًا في نظره.

القاعدة الخامسة: يجب عدم توجيه كُرهنا إلى الناس بل توجيهه ضد الأشياء فقط. يختلط الخير والشر داخل النفس البشرية بحيث لا يمكن تمييزهما بشكل عادل، أولئك الذين سمحوا لأنفسهم بأن يكونوا ظالمين . جلبوا الإحساس بالمرارة وعدم الرضا على حياتهم. لذلك لا تسمح لفلسفاتك ولا لتجاربك الشخصية بأن تطرد من حياتك قوة الحب. ويجب أيضًا تجاهل السؤال حول حق الآخر في أن يُحَب لأن الحب هو الطريقة الوحيدة للحفاظ على حالة السلام الداخلي والحفاظ على الاهتمام بالناس والأشياء. بدونه يصبح كل من الناس والأشياء بالتدرج مصدر إزعاج وإهانة.

الحب هو أسمى حكمة دنيوية علي الإطلاق، من يحب هو دائمًا أكثر حكمة من الذي لا يحب حتى وإن كان غير واعٍ لذلك. يقول الشاعر: «هذه هي عقيدتي، فالحب والكرهية يعتمدان على طريقة الآخرين في معاملتي!» عش وفقًا لهذه العقيدة وسوف تعلم مقدار الكراهية ومقدار الحب الذي من المحتمل أن تتلقاه.

في جميع النقاط المُشار إليها حتى الآن، لا يوجد مكان لقرارات مترددة أو مهزوزة. بل القرار والعادة الصحيحة هي أن تكون القرارات

كاملة ومُطلّقة بدون أي حسابات لعواقب الأمور سواء كانت العواقب مؤثرة أو غير مؤثرة. بالإضافة إلى هذه القاعدة الحاسمة، هناك العديد من القواعد الصغيرة التي تعمل على تعزيز المبادئ العظيمة وجعلها عملية، على سبيل المثال:

الوصية الدينية: «دَعِ الموتى يدفنون موتاهم، الموتى هم أفضل الناس للقيام بهذا العمل». فإذا امتنع المرء عن الجدل حول ما قد مضى وانتهى في الماضي، فسوف يعطي لنفسه فرصة للقيام بمهام إيجابية والبُعد عن الأعمال الهدامة حتى وإن كانت ضرورية. مثلاً، تم تخصيص العديد من النصب التذكارية لأولئك الذين يدمرون ويحاربون ويحرقون! والتي كان يجب أن يتم تشييدها لأولئك الذين يحققون المهام والأعمال المفيدة والمثمرة للبشر.

يجب على المرء ألا يكون ساذجًا، حتى لا يعتقد الآخرون أنهم يمكنهم خداعه بسهولة، بل يجب أن يجعل المرء الأشخاص الأذكياء يعرفون أنه يقرأ أفكارهم ويعرف ما يفكرون فيه وما يسعون إليه. ويمكن للمرء أن يقرأ مثل هذه الأفكار بدقة تامة إذا لم تَعْم عينيه وعقله صفة الأنانية. بعيدًا عن صفة الدفاع عن النفس والتي تعتبر ضرورية أحيانًا، فإن الخطة الأفضل بشكل عام هي رؤية الجانب الجيد من الناس والاعتقاد بأن هناك خيرًا فيهم دائمًا.

يبدل الأشخاص جهدًا ليكونوا صالحين ويصبحوا أفضل من خلال نظرة تقدير الأشخاص الآخرين لهم. ويصبحون أفضل أيضًا عندما ينجون من التجارب الشخصية المؤذية أو من الإحساس بالندم أو الضيق. لذلك

القرب من الأشخاص السيئين تحبط طبيعة المرء، وفي حالة الأشخاص الحساسين قد يكون هناك تأثير سلبي، على الروح، وعلى الجسد.

ما هو سيئ لا يحتاج إلى النقد الشديد ولا إلى تسليط الضوء عليه. عندما يتعين على المرء أن يلوم الآخرين، فعليه أن يتصرف بهدوء شديد وببساطة. اللوم الغاضب لا يكون جيدًا.

هناك نوع من الشخصيات غير المألوفة الذين ليس لديهم القدرة على الحب تجاه من يختلفون عن معتقداتهم خاصة من الشباب؛ لذا فهم يفضلون في كثير من الأحيان صحبة السيئين، على مرافقة الأصدقاء الصالحين.

أخيرًا، قد لا يبدو ممكنًا أن نكون أصدقاء مع الجميع بالتساوي، لذلك ميّز بين الناس، وكن صديقًا للمتواضعين، الفقراء والبسطاء، غير المتعلمين، الأطفال، الحيوانات والنباتات. وإذا كنت ترغب في عقل هادئ، فابحث عن الأشخاص الهادئين، ولا تتوقع منهم أبدًا الامتنان أو التعاطف معك دائمًا، ولكن خذ بعين الاعتبار الحب الذي يحملونه لك وهو ثمين مثل حبك لهم.

هناك العديد من العادات الأدنى من العادات الجيدة، أنا أدعو القارئ أن يتذكرها وأدعوه أيضًا لاستخدامها في حياته اليومية. وأثناء قيامه بذلك سوف يلاحظ أن هدفه هو أن يبدأ عمليًا بعادة واحدة جيدة بدلًا من البدء بعمل كتالوج كامل لعادات كثيرة متنوعة. وتكمن الصعوبة الحقيقية في خلق العادات الحسنة في الواقع في تخليص القلب من أنانيته. فالأنانية هي العقبة الأساسية أمام التحلي بالعادات الجيدة.

لن ينكر أي شخص يفهم نفسه جيدًا أن هناك ميلًا، غالبًا بسبب الفضول، لدى كل شخص للانحلال الأخلاقي أو للفساد. هذا الميل إلى الانحلال لا يتم التغلب عليه إلا من قِبَل عزيمة قوية. وحل تلك المشكلة سواء في الفلسفة أو الدين تُعتبر مشكلة قديمة بالنسبة للعالم وجديدة بالنسبة للأشخاص وتتلخص في السؤال التالي: «أين نجد هذه العزيمة القوية التي تجعلنا نميل إلى الخير وتجدد تلك الحالة الروحانية الضرورية للسلوك الصحيح في الحياة؟»

لا يزال هناك العديد من الإجابات المختلفة لهذا السؤال. يقول دانتي، في مقطع المشهد السابع والعشرين من مسرحية المسافر الشهيرة: «عندما كان السلم كله يركض تحتنا، وكنا على أعلى درجاته، نظر إليّ بامتعاض وقال: «بالعلم والفن جنت إليك هنا» وبتوجيه من العقل فإن المسافر قد تم اقتياده إلى الجبل المقدس، حيث سمع أخيرًا مرشده يقول «ستمتع بمرشدك من الآن فصاعدًا، حتى تجتاز الطرق الضيقة وشديدة الانحدار، هذا المرشد، هو أنت» وهنا نلاحظ تناقضًا ملحوظًا عند الشاعر والفيلسوف العظيم دانتي<sup>(6)</sup>، فهو ملاك يحمل هذه الأرواح الفانية عبر البحر ويأخذها إلى سفح الجبل، ويمنعهم ملاك آخر مرارًا وتكرارًا من العودة في طريقهم، حتى عندما يجتازون بوابة النعيم، لا يمكن لأحد أن يمر من دون أمره ويجلس ملاك ثالث لا يمكن للمرء أن يقترب منه إلا بمعجزة من عند الله. في كل هذه الرحلة، نرى بوضوح أن دور «الفكر والفن» الذي يصاحب مسرحية المسافر، دور محدود للغاية.

(6) دانتي ديغلي أليغيري هو شاعر وفيلسوف إيطالي عاش خلال القرون الوسطى. إشتهر بكتابة ملحمة الكوميديا الإلهية المكونة من الجحيم، المطهر والفردوس. ويعتبر دانتي مؤسس الأدب الإيطالي الحديث.

إدًا، فإن السؤال عن الديناميكية الأخلاقية لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق التجربة الشخصية وأن الانضباط الذاتي للفرد يبدأ بانضباط الإرادة، أي إن هذا القرار نابع من الإرادة.

كل ما يجلب معه أي إحساس بالدعم أو الهدوء أو الطاقة الأخلاقية ليس صحيحًا، وأيًا كان ما يساهم في هذه الطاقة الأخلاقية يجب أن يكون به جزء من الحقيقة. في المستقبل، أي فلسفة للحياة تقترح أن تكون أكثر فاعلية من فلسفتنا الحالية يجب أن تفي بالاختبار. كل شيء آخر يؤدي إلى الضلال.

«لماذا نخاف عندما يقترب الموت منّا، ونحن نعلم أنه لا بُدَّ أن يأتي يوم ما؟»

لأنه عندما يقترب، نرى موقف الوجود الغامض.

لكن الحاضر ما زال بأيدينا!

نحتاج أن يلتصق الحب بقلب الإنسان مثل الموت، فيأتي الحب إلينا..

وحين يدخل، تتبدل الحياة.

لأن الحياة تجد في الحب مصيرها.

وكان الحب بعثنا من الموت الى نور الحياة»



## المقال الرابع

أبناء هذا العالم أذكى من أبناء النور



عزيزي القارئ، لا تشكك في حقيقة هذا العنوان! لكن لا يسعني إلا أن ألاحظ فيه الدفاع الشديد عن الرغبات الدنيوية ضد روح المثالية. إن الاعتراض على المثالية الذي نسمعه بشكل شائع، هو أنها جيدة من الناحية النظرية فقط وليس من الناحية العملية الواقعية. وإذا كان صحيحًا حقًا أن الرغبات الدنيوية، والمثالية، لا يمكن التوفيق بينهما، فيجب على معظم الناس التمسك بالرغبات الدنيوية!

الناس يعيشون على هذه الأرض لذلك يجب أن يتعاملوا مع الحياة كما هي؛ يجب عليهم قبول الأقدار المحتومة التي لا مفر منها، على الرغم من أن قبولها قد يكلفهم لحظات ندم حقيقية بسبب تخلي المؤمنين بالمثالية عن مثالياتهم. هذا العالم يدعو إلى الإيمان بالحكم الدنيوية، وقد ينعم عالم آخر بالسلام في البُعد عن هذا الاتجاه المتعثر في الحياة. حياة تغلبت بالفعل على إغراءات الأنانية ولكنها لا تزال مُحطّمة وخاسرة.

يقسّم كارل هيلتي البشر إلى نوعين، نوع روحاني «أبناء النور» والذين يمثلون المثالية، والنوع الشائع «أبناء العالم الدنيوي» والذين يمثلون الحياة المادية.

## أبناء العالم الدنيوي

أول ما يدهشنا في هذا المقال هو التقدير المبالغ فيه للذين يُطلق عليهم «أبناء هذا العالم أو أبناء العالم الدنيوي» والذين لم يتعامل رجال الدين معهم بقسوة مثل الكهنة والوعاظ في العصر القديم.

يعرف أبناء هذا العالم ما يريدون، ويسعون إلى الوصول إلى أهدافهم بالصبر والجهد، مع تذليل أي عقبات تقف أمام وصولهم إلى تلك الأهداف. وهذا معاكس تمامًا لما يفعله أولاد النور «أو روح الحق» في مراحل نموهم الأولى. علاوة على ذلك، فإن أبناء هذا العالم ليسوا بعيدين عن دوافع الحياة العليا، قلوبهم شبيهة بالصخرة، حيث البذرة الصالحة تسقط عبثًا، إنهم مجرد تربة يخنقها نمو آخر، حيث تتجذر البذرة ولكن لا يمكنها الازدهار.

لا يجب أن نفكر في أبناء هذا العالم على أنهم سينون تمامًا أو غير مميزين، على العكس من ذلك، هم أفضل مما يتظاهرون به. من بينهم العديد من الأشخاص غير المنافقين يخفون أفضل أفكارهم لأن تنقصهم الشجاعة ليكونوا صالحين. كما أنهم ليست لديهم ثقة كافية في النظام الأخلاقي للعالم، فلا يؤمنون بقدرته على إرشادهم لكيفية النضال من أجل وجودهم. ولا يبدو أن السير على نهج النظام الأخلاقي له ما يبرره، بل على العكس، يجب على الشخص الذي يتخلى عن الرغبات الدنيوية أن يتوقع هجران العالم له. وأنه سوف يعاني من عدم اليقين في أفعاله، والتردد بين إذا كان قد اختار الطريق الأفضل أم لا. هذه هي شهادة كل من اتبعوا عمليًا هذا الطريق في الحياة.

وبالتالي، فإن أبناء هذا العالم هم ببساطة الأشخاص الذين يفضلون المسارات في الطرق الطبيعية والمعروفة. قد يبدو المسار غير المألوف لهم -نظريًا- جميلًا للغاية لكنهم لا يجدون طريقًا عمليًا ليتبعوه.

## أبناء النور

لا يزال من الصعب تحديد مَنْ هم أبناء النور أو روح الحق والذين يتصفون بالمثالية. صحيح أن بعض الأديان ذكرتهم لكن ما معنى النور؟ من أين يأتي؟ هنا تأتي الأسئلة الأكثر جدلًا وفلسفة عند الإنسان. من أين أتينا؟ إلى أين نذهب؟ ما هو مصيرنا؟

كل ما يمكن قوله بكلمات واضحة عن أبناء النور، هو أنهم يبحثون عما هو أبعد من الواقع، مع السعي نحو عالم مثالي. أبناء النور هم أولئك الذين يرغبون بشدة في شيء أفضل من أن يأكلوا ويشربوا ويموتوا فقط غداً. والإيمان هو الدافع الذي يحرك قلوبهم وإرادتهم أولاً ثم الاقتناع. وقد يطلق عليهم ورثة الأنبياء والحكماء النورانين بقدراتهم وعلومهم العظيمة.

للأسف، يرون أن جزءًا كبيرًا من التعاليم الدينية كانت غير مثمرة وغير فعالة، لأن في حقيقة الأمر لا يمكن نقل الدين بالتوجيه. من المفترض أن يكون الإيمان هو الدافع لدخول عالم المعرفة الإنسانية، ولكن أيضًا لا بُدَّ من الإيمان بمعلمي الدين والوعاظ ورجال الدين لما لهم من تأثير مباشر على الأفراد. فرجال الدين لهم تأثير واضح في أن يشجعوا أو يخلقوا في الأشخاص أنواعًا من التصرفات العقلية المعينة، ويمكنهم أيضًا تحرير العقل من النفور من وجهات النظر المختلفة أو من عدم القدرة

على المشاركة الإيجابية لأفكارهم. علاوة على ذلك، يمكن لرجال الدين القيام بإقناع الأشخاص من خلال تعاليمهم. إن التقيّد بالتعاليم الدينية يحدث عندما تتوافق حياة طالب العلم مع المثالية، أو بسبب التعريف الخاطئ للدين على أنه نوع من العلم الذي يمكن تعليمه وتعلمه.

هنا قد يتساءل الفرد، ما هي ميزة حكمة النور على حكمة هذا العالم؟ حكمة العالم هي ملكية أكثر وضوحًا بها المزيد من الأشياء الجيدة في الحياة أكثر مما يمكن لأبناء النور أن يحصلوا عليها.

مميزات أبناء النور يمكن العثور عليها في التالي:

أولاً: في التأكيد على أنهم يمتلكون الحقيقة، وبالتالي يتم تنشئتهم في حالة من السلام الداخلي والكمال. أعلن «ليسينغ» الناقد والكاتب والفيلسوف الألماني الشهير وأحد أهم ممثلي عصر التنوير في كلماته المشهورة «إن الحقيقة ليست شيئاً يجب أن يرغب الإنسان في امتلاكه، والسعادة من المفترض أن تتواجد في البحث عن الحقيقة، وليست في امتلاك الحقيقة نفسها. وإمتلاك الحقيقة يجلب معه السعادة الحقيقية الوحيدة التي لا توصف، والتي لا يمكن لمن حصل عليها أن يبادلها مقابل كل الأشياء الجيدة الأخرى الموجودة على الأرض بأي حالٍ من الأحوال» السؤال الأساسي هنا لا يتعلق بامتلاك أي شيء مادي محدد، بل بامتلاك السعادة الداخلية التي تتحقق عند معرفة الحقيقة.

الإنسان الأناني والحاسد والمنغمس في اللذات، لا يعتبر ما يريد امتلاكه هدفه الحقيقي. تلك الأهداف في نظرهم هي فقط الوسيلة الأساسية لتحقيق الغاية الحقيقية وهي الوصول إلى السعادة الداخلية.

وهذه هي بالضبط الطريقة التي يمدعون بها أنفسهم، لأن هؤلاء الناس قد يحققون كل ما يرغبون فيه ولكنهم لا يحققون معه سلامهم النفسي الذي يرغبون فيه، ونجاحهم ووصولهم لغايتهم يصبح عقابهم. قد يكون من الصعب إلى حد ما فهم كل هذا، ولكن في الوقت الحالي قد يتم قبوله كمجرد فرضية عمل، ويمكن للمرء ملاحظة تلك الفرضية لاحقًا في الحياة إذا ما كانت صحيحة أم غير صحيحة.

الميزة الثانية التي يتمتع بها روح أبناء النور على أبناء العالم الدنيوي هي: إنه عندما يتم اختبار أبناء النور، يكونون في الواقع أكثر حكمة من أطفال العالم الدنيوي. لا شيء ينسجم مع قوانين الكون الحقيقية سوى أبناء النور. هذا هو السبب في أن أبناء النور الذين قد يبدو غير حكيمين يمرون بتجارب الحياة بمشاكل وأذى أقل من أبناء العالم الدنيوي. إن ضمائر أولاد النور لا تزعجهم عكس الضمير المضطرب الذي لا يحس بالسعادة. بالإضافة إلى أن أبناء النور يمرون في الحياة بقلق وخوف أقل من أبناء العالم الدنيوي، لذلك فإنهم يعيشون بسلام أكثر مع أنفسهم ومع الآخرين؛ لأنهم يعيشون بدون العواطف والأحقاد والغيرة التي تجعل الحياة صعبة.

حتى أولئك الذين لا يرغبون لأنفسهم أن يعيشوا بتلك الطريقة ولا يقدرون عليها، بمجرد اقتناعهم بأن أبناء النور حقيقيون وأنهم مثاليون وليسوا متغطرسين، يزدادون ارتباطًا بهم أكثر من ارتباطهم بأشخاص مثلهم. كما أن العاطفة التي تنشأ تجاه هؤلاء الأشخاص تكون قوية

جداً كالتبجيل مثل نيكولاس فون<sup>(7)</sup> وفي عصرنا الحالي جوردون باشا<sup>(8)</sup>.  
الآلاف في جميع البلدان أعربوا عن أسفهم العميق لموت الجنرال جوردون  
وشعروا أن موته كارثة وطنية، على الرغم من أنهم لم يكن لديهم أدنى  
فكرة عن حياته. إنه شكّل من أشكال المشاعر والعاطفة يفتقره أنجح  
الحكام السياسيين في عصرنا هذا.

أشخاص مثلهم لمجرد أنهم تنازلوا وتخلوا عن المنافسة على الأشياء  
الجيدة في الحياة أصبحوا الحكام الحقيقيين لشعوبهم وأبطال البشرية.  
الحقيقة، السعادة، التحرُّر من الخوف، السلام الداخلي والسلام مع  
جميع البشر. هذه الأشياء الجيدة في الحياة والتي لا يكون للثروة أو  
السُّلطة أو موارد الرفاهية أي وزن أو أهمية مقارنة بهم حتى لو كانت  
إمكانية الحصول على هذه المكافآت تأتي بدون مرارة وقلق وتنافُس.  
هذه المكتسبات المثالية لأبناء النور تتمتع بميزة مهمة، وهي أنها  
عند تحقيقها تكون آمنة وأن بإمكان أي شخص تحقيقها. يحتاج المرء  
فقط إلى رغبتها بجدية والتخلي عن الاعتماد على حكم ونجاحات هذا  
العالم، وبعد ذلك، تتحقق بركات أبناء النور. بالتأكيد، قد لا تتحقق  
هذه الأشياء من خلال جهدٍ طفيف، بل تحتاج تضحيات وجهد كبير. في  
الواقع، وفي معظم الحالات، لا تتحقق تلك المرحلة من التجرد، والوصول  
للنورانية، إلا بعد حدوث أزمة واحدة أو أكثر من أزمات الحياة والتي  
يتخلى فيها الرجل عن كل آماله، لكن في مثل هذه الأزمة، تكون سبل  
أبناء النور أسهل بكثير وأكثر قبولاً من السبل الدنيوية، وبالفعل فإن

(7) نيكولاس فون: دبلوماسي وقسيس كاتوليكي.

(8) جوردون باشا: اللواء تشارلز جورج غوردون، كان ضابطاً وإدارياً في الجيش البريطاني، ويذكر لحملاته  
في الصين وشمال أفريقيا، حتى قُتل يوم تحرير الخرطوم، ودفن في بريطانيا.

المنح التي يحوزها أبناء النور تفوق منح أبناء العالم. كم من بشر عاشوا أيام النبي سليمان، وشاهدوا نهاية حياته التي بدت لهذا العالم إنها حياة ناجحة وحررة، ليكتشفوا في النهاية فقط أنها «حياة غرور».

قد يعتقد المرء أن هذه الحالة الفردية للتجربة البشرية، قد تكون خادعة. إنها تفشل في عالمنا الحالي فقط، لأن الحكمة الأدنى تمنع المرء من تلك الحكمة الأعلى، التي تكافئ بمكاسب كبيرة ناتجة عن الحياة المثالية. ومع ذلك، لن ألوم أولئك الذين يتبعون الحكمة الأدنى، أنا ببساطة أتترك الأمر لتفكير القارئ ليقرر ما إذا كان، عند تقييم الحالة والنظر إلى ظروف الحياة البشرية، هل سيكون من الأفضل اختيار الطريقة الأدنى أو الأعلى؟ فبعد كل شيء، فإن أكثر الناس حماقة هم الذين يتبعون مسارًا للحياة لمدة سبعين أو ثمانين عامًا دون أن يقرروا أبدًا ما إذا كانوا سيختارون حكمة هذا العالم.

حكمة هذا العالم (الحكمة الأدنى) أم حكمة النور (الحكمة الأعلى)؛ وهذه الفنة من الحمقي، في أغلب الأحيان لا ينجزون شيئًا في العالم وينتمون الي عدد كبير جدًا مما نسميهم، الأشخاص المثقفين في عصرنا!



المقال الخامس  
فن إدارة الوقت



ليس لديك وقت! هذا ليس العذر الوحيد المعتاد والملائم لعدم قيام المرء بواجباته؛ يجب على المرء أن يعترف بالأعذار الحقيقية وهل هي أعذر جيدة؟ يجب أن أعترف بأن ضمن حدود معينة تكون الأعذار معقولة، لكنني سأحاول أن أوضح كيف يحدث الضيق في الوقت، وكيف يمكن للمرء بدرجة ما أن يجد الوقت الذي يحتاجه. تختلف نصائحي وتوجهاتي عن خطب الدعاة والوعاظ، فأنا كما يقول المثل ليس لي ثلاثة رؤوس بل رأسان فقط، ومع ذلك عندي الوقت الكافي لإنهاء واجباتي. وأقول هذا لإرضاء أولئك الذين قد يحتجون على أن ليس لديهم وقت حتى للقراءة.

إن السبب الرئيسي لضيق الوقت يكمن في طبيعة عصرنا الحالي، حيث يوجد قلق عام سائد بعد فترة من الحروب الطويلة. فإن لم يضع المرء نفسه في عزلة، لن يستطيع الهروب من طبيعة هذا العصر.

من يعيش في هذا العصر يجب أن يكون سريعًا. فإذا كان بإمكان المرء أن ينظر إلى العالم الحديث كأنه طائر مع مراقبة تفاصيل حياته في نفس الوقت، فإنه سيرى تحته صورة مثل عش النمل المحتشد والمضطرب، أو كقطارات السكك الحديدية، يتنافسون ويعادون بعضهم البعض ليلاً ونهارًا، وسيكون ذلك كافيًا لإرباك تفكيره. في الواقع، هذا الارتباك والحيرة سيشعر بهما كل من كان مشاركًا في تلك الصورة في ذلك الوقت بأي شيء. هناك الكثير من الأشخاص الذين ليس لديهم

أدنى فكرة عن سبب عجلتهم أو استعجالهم طوال اليوم. يمكن رؤية الأشخاص المرفهين وهم يندفعون في الشوارع، أو ينعطفون بعيدًا عن القطارات، أو يتزاحمون خارج المسارح كما لو كانت أعمال هامة للغاية تنتظرهم عندما يعودون إلى المنزل.

قد يتوهم المرء أن أعلى الممتلكات على وجه الأرض وأكثرها غرابة هي امتلاك الوقت. فنحن نقول إن الوقت هو المال، ولكن يبدو أن الأشخاص الذين لديهم الكثير من المال ليس لديهم وقت؛ الحقيقة هي أن الناس ببساطة يستسلمون للحركة العامة، فيبدو العالم الحديث عديم الرحمة في حثه على العمل المستمر. كم عدد الأرواح التي دمرتها وتيرة العمل الواحدة؟ وكم هو مخزٍ أن يُقاد البشر كالخيول حتى يسقطوا! غير أن هناك دائمًا المزيد من الأرواح الجاهزة للاقتياد مثل الخيول.

ومع ذلك، فإن نتائج التسارع المضطرب لطبيعة الحياة في عصرنا هذا غير مقنعة في الأساس. كانت هناك فترات في التاريخ حقق فيها البشر إنجازات عظيمة أكثر بكثير مما يحققه البشر اليوم ولكن بدون القلق والإرهاق اللذين يسودا العالم الآن.

لا يمكننا الآن العثور على رجال يمكنهم القيام بأعمال عظيمة وكبيرة في فترات زمنية وجيزة بدون أن ينهاروا في نهاية أعمالهم، أو يُجبروا على قضاء شهور أو سنوات في الترفيه أو فترات للراحة. أين العلماء الذين تملأ أعمالهم آلاف المجلدات، أو الفنانين مثل مايكل أنجيلو ورافائيل الذين كانوا في نفس الوقت رسامين ومعماريين ونحاتين وشعراء؟ أين سنجد رجلًا مثل تيتيان والذي في عمر التسعين عامًا كان بإمكانه القيام بعمله دون الحاجة إلى التقاعد كل عام في منتجع صيفي أو مصحة؟ الحقيقة

أن السرعة العصبية في يومنا هذا لا يمكن تفسيرها بافتراض أن الرجال المعاصرين يقومون بعمل أكثر أو عمل أفضل ممن سبقوهم. يجب أن نحيا وإن لم يكن بدون راحة تامة فلا بُدَّ أن نحيا بدون حياة سريعة مع القدرة علي تحقيق إنجازات ملموسة في نفس الوقت.

الشرط الأول للهروب من تلك السرعة العصبية غير الفعالة في عالمنا هو القرار بالألا يجرفنا تيار العصر السائد الذي يجعل الناس وكأنهم بدون إرادة خاصة بهم. بل على العكس من ذلك، يجب على المرء أن يعارض وتيرة الحياة السريعة وأن يصمم على العيش كإنسان حُر وليس كعبد للعمل، المتعة وجني الأموال بالرغم من أن نظم العمل وطرق الحياة العالية تجعل هذا القرار صعبًا للغاية. في الواقع إن طريقتنا في التفكير في جني الأموال ومحاولتنا المستمرة في توفير الأموال للأجيال القادمة تزيد صعوبة الحياة. قد نلاحظ ببساطة أن مشكلة استخدام الوقت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمشكلة التغيير الجذري الذي يجب أن تمر به الحضارات نفسها قبل أن تصل إلى التقسيم العادل للعمل والتوزيع العادل للرفاهية. طالما يوجد أشخاص وخاصة المتعلمين الذين يعملون فقط عندما يُجبرون على العمل؛ طالما هناك من يقول بفخر: «قد جنت من عائلة لم يكن لدينا فيها ريش باستثناء القبعات».

سوف يكون هناك الكثير من الأشخاص الذين لديهم القليل من الوقت لمجرد أن القليل من الأشخاص لديهم الكثير من الوقت. المشكلة العملية الوحيدة لعصرنا هذا هي البحث عن طرق حقيقية لتحسين أنفسنا مع المحافظة على أخذ موقف تجاه ضيق الوقت.. اسمحوا لي أن أعد بعض هذه الطرق للحفاظ على الوقت.

أولاً: العمل المنتظم: أفضل طريقة على الإطلاق لقضاء وقت مثمر هو وجود عمل منظم به ساعات عمل محددة وليس العمل لفترات متقطعة. ويكون العمل صباحًا وليس ليلاً، طوال ستة أيام في الأسبوع وليس خمسة أو سبعة أيام. إن تحويل الليل إلى نهار أو يوم الأحد إلى يوم عمل، هو أقصر طريق لتضييع الوقت مع عدم القدرة على العمل. حتى الإجازة تفشل في تحقيق الغرض منها إذا لم تُعطَ للأشخاص الذين يعملون. لدي الأمل أن في وقت ما قد تثبت العلوم الطبية بشكل إيجابي أن العمل المنتظم، خاصة عندما يكبر المرء، هو أفضل الطرق للحفاظ على الصحة الجسدية والعقلية والحفاظ على جمال النساء أيضًا. الكسل هو أكثر إرهاقًا من العمل لأنه يسبب المزيد من التوتر ويضعف قوة المقاومة التي هي أساس الصحة العامة.

صحيح أن العمل قد يكون مفرطًا عندما يهتم المرء بنتيجة عمله أكثر من اهتمامه بالعمل نفسه، ولكن في هذا الوضع من الصعب ممارسة الاعتدال. وكما قال رجال الدين بحسرة: «العمل يُعطى لكل إنسان حسب قوته، لكن قلبه قد لا يستطيع الالتزام به». ومع ذلك فالطبيعة هي نفسها أصبحت مراقبًا لذلك التعب الجسدي الذي يسببه العمل نفسه. فلا يحتاج المرء إلى أن يأخذ في اعتباره هذا التعب ولا يتحايل عليه بالمنشطات وبعد ذلك سوف يكون قادرًا على التحكم في نفسه وفي وقته المخصص للعمل.

يتم تشجيع عادة العمل المنتظم من خلال وجود مهنة محددة بها مهام والتزامات إيجابية للأفراد. وهكذا، فإن الرومانسية الاشتراكية التي ترسم صورة لمستقبل العالم لها ما يبررها عندما تصف المؤسسات

العالمية الصناعية تحت شكل جيش ويكون فيه النظام والواجب في عمل الفرد أهم شيء. كل ساعة في اليوم لها مهمة محددة بدون أخذ رأي الأفراد إذا كانوا يرغبون في فعل تلك الأعمال والمهام أم لا.

ثانيًا: تقسيم يوم العمل. «لا شيء يجب القيام به» هذا الشعار يتبناه العديد من الأشخاص؛ لذلك فإن عملاً معينًا سيكون بمثابة الخلاص من اللامبالاة التي تهدد راحة البال. قد تكون خطوة جيدة لو بعض الأشخاص فعلوا مثل الأمير البافاري الذي تولى مهنة طبيب عيون وهو أمير في الأصل. أنا أميل إلى الاعتقاد بأن الاتجاه نحو التعليم العالي المنتشر بين النساء في عصرنا هذا هو الاستجابة للطبيعة البشرية التي تبحث عن أعمال محددة.

في عصرنا هذا تم مناقشة سؤال محدد كثيرًا، يتعلق بكيفية تقسيم يوم عمل الفرد. في المدن الكبيرة والشاسعة الأشخاص غير المتزوجين ينشغلون بمهام حركية، أما الأشخاص الذين يعتبرون عملهم عبئًا ويجب التخلص منه في أسرع وقت ممكن، لديهم بعض المزايا في العمل بشكل دائم ودون انقطاع ويطلق على هذا النوع «الطريقة الإنجليزية للعمل».. ولكن بهذه الطريقة لن يستطيع الأفراد ذوو طبيعة الإنتاج الغزير إنجاز الكثير من الأعمال الفكرية إلا من خلال «الطريقة السويسرية للعمل». والتي تعتمد على التوقف عن العمل في منتصف النهار، لأن لا أحد يستطيع بشكل مستمر، أو حتى مع فترات توقف مؤقتة، أن يكرس نفسه لمدة ست أو ثماني ساعات متواصلة لإنجاز الكثير من الأعمال الفكرية. حتى لو أعطى المرء لنفسه فترة توقف عن العمل لمدة ساعة للراحة في وسط اليوم، مع تقليل ساعات العمل في فترة ما

بعد الظهر يبقى لديه الشعور بالإجهاد. أما اتباع الطريقة السويسرية للعمل، فسيكون من السهل العمل لمدة عشر ساعات أو إحدى عشرة ساعة في اليوم مقسمين كالتالي: أربع ساعات في الصباح وأربع ساعات بعد الظهر وساعتين أو ثلاث ساعات في المساء.

ثالثًا: فصل الرغبة والميول عن العمل. النقطة الأساسية التالية في هذا المقال هي أن يجب ألا يكون هناك الكثير من الضجة حول عمل الفرد، وعدم السماح بمزاج، وميل أو عدم ميل المرء للعمل أن يؤثر على عمله أو قيامه بالتحضير للزمان أو للمكان الخاص بالعمل. فيأتي الميل إلى العمل من تلقاء نفسه عندما يبدأ المرء بالقيام بعمله، وحتى الإرهاق الجسدي يختفي عندما يقوم المرء بعمله بجدية.

«ابدأ مهامك وأنت مبتهجٌ ولا تسأل كيف سوف تنتهي». لا تسمح لنفسك بالتوقف عن العمل ولا تشجع الجزء الكسول بداخلك (أو كما يسميه بعض رجال الدين بالرجل العجوز) بالتوقف أيضًا. لأن ما يود أن يفعله أو يفضل ألا يفعله المرء سوف يرفضه «الرجل العجوز» بداخله. يجب إجبار الجزء السيئ من المرء على عادة «الطاعة الحتمية» للجزء الأفضل لديه دون تذمُّر. وعندما يستطيع المرء من تحقيق هذا القدر من الانضباط العسكري داخل نفسه، فهو إذًا على الطريق الصحيح. وقبل أن يصل المرء إلى هذه المرحلة، ولم يجد طريقه بعد. هنا يتعلم الفرد إذا كانت حياته قد انتهت أم ضاعت منه. أحيانًا يقترح الرجل على نفسه أن ينظم أفكاره قبل أن يبدأ عمله أو أن يتأمل المهام التي سيفعلها قبل البدء فعليًا فيها. في معظم الحالات تكون هذه مجرد

أعذار لعدم القيام بأي شيء مثل أن يشعل الرجل سيجاره. علمًا بأن أفضل الأفكار تأتي أثناء العمل.

رابعًا: تقسيم الوقت ومهام العمل. عند هذه النقطة ينبغي ذكر أسلوب تجزئة أو تقسيم الوقت. كثير من الناس ليس لديهم الوقت لأنهم يريدون دائمًا الحصول على وقت طويل غير متقطع قبل أن يبدأوا في العمل. هذه الطريقة تخدمهم بشكل مضاعف لأن ظروف الحياة تصعب تأمين هذه الفترات الطويلة من الوقت. ومن ناحية أخرى فإن قوة العمل التي يمتلكها المرء محدودة فلا يمكنه الاستفادة باستمرار أثناء مدة طويلة من الزمن، وهو يعمل. وينطبق هذا بشكل خاص على الأعمال الفكرية والإبداعية. يمكن القول دون مبالغة أن الساعة الأولى أو حتى النصف ساعة الأولى في العمل هي الأكثر إنتاجية.

يجب أن نلاحظ أيضًا أن هناك رابطًا بين كل جزء من مهام العمل والتي قد تحتوي على عددًا كبيرًا من المهام الصغيرة والثانوية كالترتيب والإعداد والتنظيم ذو الطبيعة الميكانيكية ومخصص لكل من تلك المهام الثانوية ربع ساعة وهو وقتٌ كافٍ لإنجازها. هذه المهام الصغيرة إذا لم يتم تقسيمها وتخصيص أوقات محددة من الوقت لها، فسوف يضيع الوقت والقوة التي ينبغي استخدامها لمهام المرء الهامة.

خامسًا: تغيير نوع العمل. من الوسائل المهمة الأخرى للاستفادة من الوقت هي تغيير نوع العمل الذي يعمل به المرء. فالتغيير في نوع العمل يكاد يكون مريحًا مثل الراحة التامة من العمل، وإذا اكتسب المرء درجة معينة من المهارة في طريقة تغيير نوع عمله (وهي مهارة

مكتسبة من الخبرة العملية وليس من مجرد نظريات تم قراءتها)، فيستطيع المرء أن يواصل عمله طوال اليوم تقريبًا. علاوة على ذلك وبقدر ما تقول تجربتي، من الخطأ التخطيط للانتهاء من عمل معين قبل البدء في عمل آخر. إن من الحكمة مراقبة طُرق عمل الفنانين الذين غالبًا ما ينشغلون في سلسلة كاملة من الأعمال الفنية ويغيرون وفقًا للميل اللحظي الذي يسيطر عليهم من عمل إلى عمل آخر. هنا يمكن ملاحظة أن تلك الطريقة ممتازة للحفاظ على ضبط النفس والوقت. آدم القديم فينا يحاول دائمًا أن يقنعنا أنه ليس كسولًا ولكنه ليس في حالة مزاجية جيدة لتنفيذ عمل معين. في هذه الحالة، يجب على المرء أن يقول لنفسه على الفور: «حسنًا إذا كنت لا تشعر بالميل إلى إنهاء تلك المهمة، فاعمل على إنهاء مهمة أخرى» بعد ذلك سوف يكتشف المرء ما إذا كانت الصعوبة هي عدم رغبته في العمل في نوع معين من المهام (والذي قد يستسلم له) أو عدم الرغبة في القيام بأي عمل على الإطلاق. باختصار: يجب على المرء ألا يخدع نفسه.

سادسًا: عادة العمل سريعًا. هناك نقطة أخرى يجب مراعاتها وهي عادة العمل سريعًا وعدم إعطاء الكثير من الاهتمام للشكل الخارجي للعمل فقط، ولكن تركيز جهود الفرد لمحتوى المهمة نفسها. إن أكثر المهام ربحية وفعالية هي تلك التي تم إنجازها بسرعة كبيرة ودقة عالية. الدقة هي سمة جميلة وضرورية وهي مرتبطة بالحقيقة التي لا يمكن استكشافها بدقة. والحقيقة أينما يمكن البحث عنها نجدها بسيطة جدًا لدرجة أنها غالبًا لا تبدو مكتسبة بشكل كافٍ، ويشعر الناس أنه يجب عليهم أحيانًا أن يضيفوا أشياء غير ضرورية لتعطي الحقيقة نظرة

محترمة وأكاديمية بين المتعلمين. غالبًا ما يكون على المرء أن يكتسب سمعته الحسنة من خلال العمل الذي يفيد ويفيد أشخاصًا آخرين. كان «رديناند لاسال» مثلًا على ذلك. هو أحد مؤسسي مذهب الاشتراكية الألمانية والتي كانت حركته تنادي بمبدأ التضامن مع النظام الإقطاعي الحاكم، وكان قادرًا على كتابة عمله الشهير «أكليتوس لها» دون أن يفقد اهتمامه بشؤون الحياة الحديثة. لكن هناك عدد قليلًا من المؤلفين الذين يتمتعون بهذه القدرة على الاهتمامات العملية، على العكس العديد من المؤلفين في مشاريعهم الأولى لم يفقدوا برهم بسبب أبحاثهم فحسب، بل فقدوا رؤيتهم الداخلية أيضًا. وتلك مسألة ذات عواقب كبيرة حيث يصل المرء إلى هدفه وطموحه ولكن يصبحون بلا فائدة.

سابعًا: عدم التلحع مع الإتقان في العمل. هناك طريقة أخرى لتوفير الوقت وهي عدم التلحع في تنفيذ المهام والانتهاه منها بدقة وسرعة. هذا النوع من الدقة والسرعة في تنفيذ المهام نادرٌ للغاية في يومنا هذا. ويجب إلقاء الكثير من اللوم على الصحف التي تعود الناس على الاستطلاعات السطحية للمعلومات والحقائق وليست الحقيقة نفسها وبالتالي يضيع الوقت بلا فائدة. مثال آخر: قد يقول كاتب الافتتاحية في ختام مقاله في الصحفية: «سنعود إلى هذا الموضوع لاحقًا». لكنه في الحقيقة لا يعود أبدًا. هكذا الحال مع القارئ الحديث، إذا أراد الاستفادة مما قرأه، فعليه أن يبدأ قراءته من جديد حيث لم ينتج عن قراءته السريعة لاستخلاص الموضوع أي نتيجة، وبالتالي فقد ضاع الوقت. هذا هو السبب في أن الناس لديهم القليل من المعرفة العامة في

هذه الأيام التي نعيشها. والرغم من أنهم قد درسوا موضوعًا ما عشرات المرات. عندما يحتاجون إلى معلومة ما، يجب عليهم دراسته الموضوع مرة أخرى. في الواقع، هناك أشخاص سيكونون سعداء للغاية إذا تمكنوا من تذكّر الأعمال التي هم كانوا أنفسهم مؤلفوها.

ثامنًا: التنظيم واستخدام المصادر الأصلية للمعلومات. الحاجة إلى التنظيم وقراءة المصادر الأصلية للمعلومات هي طريقة فعالة لعدم إهدار الوقت. إن عادة التنظيم تنقذ المرء من الحاجة إلى البحث عن مصادر المعلومات، وهذا البحث عن المصادر ليس فقط مضيعة كبيرة للوقت، ولكنه يفقدنا أيضًا المتعة في عملنا. علاوة على ذلك، فإن قراءة المصادر الأصلية تمنح المرء ميزة التأكد من المعلومات وامتلاك حكمه وتقييمه الشخصي على تلك المصادر. هناك ميزة أخرى، وهي أن المصادر الأصلية في معظم الحالات ليست فقط تكون موجزة، ولكنها أكثر إثارة للاهتمام وأسهل بكثير في التذكر من الكتب نفسها.

لا تمنح المعرفة غير المباشرة للمعلومات الشجاعة والثقة بالنفس أبدًا مثل التي يحصل عليها المرء من المعرفة من المصادر الأصلية. إن أحد الأخطاء العظيمة في العلم الحديث والذي يختلف عن العلم الكلاسيكي، هو كما أشار وينكلمان المؤرخ والكاتب الألماني «إن تعلمنا في كثير من الحالات يتمثل في معرفة ما يعرفه الآخرون فقط».

وبعد كل هذه النقاشات لم نقم بعد بتسمية العناصر الرئيسية في فن إدارة الوقت.

أولًا: التخلي عن كل ما هو غير ضروري في الحياة. الكثير مما تعتبره

الحضارة الحديثة ضروريًا هو في الواقع غير ضروري ويمكن الاستغناء عنه. سوف أشير إلى العديد من الأشياء التي تبدو لي غير ضرورية. على سبيل المثال، تعتبر «البيرة» أحد الأشياء غير الضرورية في أي وقت من اليوم وخاصة عندما يكون المرء في حالة سُكر في الصباح، بعد الموضة التي جعلها الأمير بسمارك رائجة وهو أحد أشهر الساسة الأوروبيين بالقرن التاسع عشر. ربما يكون أكبر المساهمين في إضاعة الوقت في هذا القرن هي مصانع البيرة، وسيأتي الوقت الذي قد ينظر فيه الناس إلى الإفراط في شرب البيرة تمامًا كما ينظرون الآن إلى الإفراط في شرب الكحول. ثانيًا: البعد عن القراءة المفرطة للصحف. يوجد في يومنا هذا أناس يعتبرون أنفسهم مثقفين ولا يقرؤون سوى الصحف. منازلهم تم تأثيثها بجميع الأساليب الحديثة، ومع ذلك ستجد فيها بالكاد عشرات الكتب الجيدة. إنهم يحصلون على كل ما لديهم من أفكار من الصحف والمجلات فقط. غالبًا ما يتم تبرير هذه القراءة المفرطة للصحف بسبب الشؤون السياسية، ويمكنني أن أضيف أن الوقت المخصص للصحيفة من اليوم غير مهم بأي حالٍ من الأحوال. فالذين يخصصون ساعتهم الأولى في الصباح لقراءة جريدة أو جريدتين يفقدون بذلك الاهتمام الإيجابي بعملهم اليومي.

ثالثًا: التوقف عن الذهاب إلى الاجتماعات بكثرة. الرجل الذي يكرس الكثير من وقته للاجتماعات بالكاد يمكنه أن يجد وقتًا للعمل الجاد. وليس من الضروري من وجهة نظر المنشغل بالاجتماعات أن يقوم بعمل مستقل لأنه استبدل قراراته الشخصية بقرارات جموع الناس وتحمله جموع الناس على أكتافه مما يُحدث إهدارًا كبيرًا للوقت.

رابعًا: تقليل التفاني في القيام بالواجبات الاجتماعية والتحدث عبر الهواتف لإجراء «المكالمات». هذه العادات هي مجرد ظلال للصدقة الحقيقية والمحفز الفكري للعلاقات الشخصية التي تهدف في الأصل إلى التعبير عن تلك العلاقات الشخصية والصدقات. لست بحاجة إلى الحديث عن التسلية الزائدة عن الحاجة والمضيعة للوقت في عصرنا مثل المسارح، المقاهي والنوادي الاجتماعية.

خامسًا وأخيرًا: هجر عناصر الثقافة الزائفة. من أجل الحفاظ على بعض الوقت خلال اليوم، يجب هجر المنتجات الرائجة والمحبوبة والمنتشرة وغير الضرورية والتوقف عن النظر لها على أنها ضرورية. وأيضًا يجب على المرء أن يجد وقتًا للقراءة الجيدة لكل ما هو جاد وتثقيفي، ويعمل على تقوية العقل وجعل المرء على اتصال حقيقي بالحركة الفكرية في العصر. كانت الروايات والدراما الفرنسية المهيمنة في وقت سابق تدعو أن يتحلى أفراد الطبقة المتعلمة في عصرنا وخاصة الأكاديميين بالشجاعة ليقولوا عن الأدب والثقافة المضيعة للوقت: «لا نعرف شيئًا عنها» ليحثوا الناس على البعد عنها.

ولكي لا تكون هناك شكوى من ضياع الوقت في قراءة هذا المقال، سأضيف نقطتين أخريين فقط:

1. النصيحة التي ذكرها روث الكاتب والناقد الأمريكي والتي تفيد بأهمية عدم قضاء وقت طويل في تفاصيل شؤون العمل الخاصة بالمرء، وتقليل الاهتمام بتفاصيل الإدارة إلى حد كبير، والعيش في عالم مليء بالأفكار الكبيرة والسعيدة.

2. النقطة التي سوف أتكلم عنها الآن لها أهمية عملية أكثر وهي أنه لا بُدَّ أن يقتصر عمل المرء على الأعمال التي يعرفها ويجيدها حقًا والتي تندرج تحت مسؤولياته مما سيوفر دائمًا وقتًا كافيًا لمهامه الشخصية الخاصة.

وأخيرًا، بعد ما تم توضيح الأشياء التي تضيع وقت المرء، يمكنني أن أضيف أنه يجب على المرء ألا يسمح لنفسه بأن يكون مثقلًا بمهام زائدة عن قدرته. يوجد في يومنا هذا عدد لا حصر له من: المراسلات، لجان الأعمال بأنشطتها المختلفة، التقارير والمحاضرات. كل منهم يستغرق وقتًا، ومن المحتمل جدًا ألا يأتي من ورائهم أي نتائج.

اسمحو لي أن أسألكم: هل كانت المحاضرات التي قرأتها لكم بأي شكلٍ من الأشكال ذات تأثير إيجابي على بصيرتكم وقراراتكم، أم أنها مجرد أدلة على سعة اطلاع المتحدث؟

هذه هي الطرق التي يستطيع الأشخاص في ظل ظروفنا الاجتماعية الحالية استخدامها لتوفير الوقت. ومع ذلك، يجب أن أضيف أنه إذا حاول المرء استخدام هذه الطرق لتوفير الوقت، سوف يقوم باكتشاف آخر وهو أحد أهم عناصر السعادة التي يمكننا الوصول إليها على الأرض والتي تتواجد في عدم وجود الكثير من الوقت. لأن السعادة البشرية تتمثل في العمل المستمر والمتدرج والذي يجعل العمل نفسه متعة. إن روح الإنسان لا تكون أبدًا كسابق عهدها عندما تكتشف عملها الصحيح. فتصبح أكثر بهجة وإشراقًا. إذًا، اكتشف العمل المناسب لك واعمله باستمرار وإتقان أولًا وقبل كل شيء إذا كنت ترغب في أن تكون سعيدًا.

ولنتذكر أن معظم حطام الحياة البشرية ناتج عن عدم وجود عمل أو قلة العمل نفسه أو العمل غير اللائق أو غير المحبب. وقلب الإنسان، الذي يُثار بسهولة لا ينبض أبدًا بسلام إلا من خلال النشاط الطبيعي للعمل والمُرغبي في نفس الوقت. ويجب على المرء أيضًا أن يحذر من جعل العمل غاية بدلًا من كونه وسيلة لخدمة الله والبشرية. أولئك الذين ينسون هذا التمييز الأخير يجدون أنفسهم في حياتهم الأبدية محكوم عليهم بالإذلال.

## العمل وحب العمل

أولئك الذين يمنعون هذه البركات من الحياة، يرتكبون خطيئة أكبر من الانتحار. الراحة بدون عمل يحبه المرء ويقوم به شيء لا يمكن للمرء أن يتحمّله في هذه الحياة. ومع ذلك، يجب أن نضيف أن قناعة العمل المستمر تكون ممكنة فقط عند وجود الطموح. لأن الإنسان الطموح دائمًا ما يكون شديد الحرص على القيام بعمل مستمر وناجح. وبسبب هذا الطموح قد يقوم بعض الأشخاص بسببه بالتضحية حتى بأرواحهم من أجل الوصول إلى أهدافهم ونجاحاتهم. فمن يزيد عن قدراته وقوته، يدمر جسده وروح الشباب الموجودة بداخله.

إذا ألزم المرء نفسه كما هو الحال في عالمنا المعاصر بفلسفة أن الماديات هي أصل كل شيء، فإن قِصر فترة الحياة يعتبر نهاية الفُرص للوصول إلى أكبر قدر من الماديات. لذا المعتقدات مثل: النضال من أجل الوجود، والبقاء للأصلح، وأن هناك نهاية لكل تعب، لن تتناسب مع

وقتنا في هذه الحياة، وهو حقًا قصيرًا جدًا. العمل الحقيقي ليس لديه وقت معين للنجاح أو الازدهار ولكن يحتاج فقط إلى وقت كافٍ.

إن روح العمل الحقيقية، ليست لديها وقت للازدهار، ولكن الوقت الكافي للعمل بإتقان. فتنمو بشكل أفضل في تربة تلك الفلسفة التي ترى عمل المرء يمتد إلى العالم اللامتناهي، وحياة المرء على الأرض ليست سوى جزء واحد من الحياة نفسها. لذلك، يجب على الأشخاص أن يتحلوا بالصبر في وجود الصعوبات والعوائق الخطيرة التي تواجههم في الحياة من أجل النجاح في الزمان الذي يعيشون فيه.

لا يبالي المرء تجاه كثير من الأشياء التي قد تبدو مهمة بالنسبة للعالم، لأنها في ضوء الحياة الأبدية تفقد أهميتها بالنسبة له. هذا هو معنى ذلك القول الجميل للفيلسوف جوروليتس، الذي يحمل في عصرنا المضطرب كلمات مريحة ومطمئنة للنفس:

«مَن يعيش أملًا في الحياة الأبدية، سيتحرر من عناء الحياة الفانية، بأحلام السعي للخلود».



المقال السادس

السعادة



بغض النظر عن أقوال الفلاسفة، يبقى صحيحًا أنه منذ الوهلة الأولى لوعي الإنسان لما حوله عند الاستيقاظ، تكون رغبته الأساسية والملحة أن يكون سعيدًا. وأسفه العميق يأتي عندما يصبح مقتنعًا بأنه لا يمكن العثور على السعادة الكاملة على هذه الأرض.

ها هي المشكلة التي تعطي عصور تاريخ البشرية المختلفة شخصياتها الخاصة: «الصبا والمرح» هي تلك العصور التي لا تزال فيها الدول شابة، وتقدمية تأمل في السعادة. أو عندما يعتقد الرجال أن هناك رؤية فلسفية جديدة للحياة أو للدين أو في البرامج التكنولوجية الحديثة، الجميع يسعى بشتى الطرق لاكتشاف سر السعادة البشرية الدائمة.

«الكآبة» موجودة في جميع العصور، مثل عصرنا، هذا حيث يرهق أعدادًا كثيرة من الناس أنهم مقتنعون بأن جميع الصيغ السابق الإشارة إليها هي أوهام، وأن السعادة أمرٌ بعيد المنال، من المستحيل تحقيقه! وساعتها يقول الأشخاص ذوو البصيرة العميقة أن كلمة السعادة ذاتها هي نوتة حزن. وما إن يتكلم المرء عن السعادة حتى تهرب منه، إنها في طبيعتها تقع خارج مجال الإدراك العملي، وهي حالة نفسية مؤقتة غير موجودة فعليًا.

لكنني لا أتفق مع هذا الرأي، وأعتقد أنه يمكن العثور على السعادة. إذا كنت أفكر عكس ذلك، كنت لألتزم الصمت حتى لا أزيد من تعاسة

قرآني، وأضعف الإحساس بالمرارة بمناقشتها. من المسلّم به، أن أولئك الذين يتحدثون عن السعادة، يتكلمون عنها بحسرة كما لو كان هناك شكٌ في إمكانية تحقيقها، يتحدثون عن نجم عالٍ في السماء، موجود، وتراه بعينيك، ولكن لا يمكنك لمسه! لا يزال صحيحًا أيضًا أن الآراء غير المنطقية عن السعادة تبدو في الوقت الحاضر مفروضةً علينا. و فقط من خلال تلك الآراء الناقصة يمكن للأفراد أو المجتمعات الاقتراب من درجة رائعة من التطور الروحي والمادي، الذي يُعدّ الأساس الضروري للسعادة الحقيقية.

وهنا يبدو أن سؤالنا به تناقضٌ خطير. لأن علينا أولاً وقبل كل شيء أن نتعلم من خلال تجاربنا الخاصة ما الذي لا يجلب لنا السعادة؟

«يجب أن يمر كل واحد بطريقته الخاصة مع أعظم الشعراء عبر «الغابة المظلمة» إلى «المدينة الفاسدة»، ويتسلق المسار شديد الانحدار لـ «الجبل المقدس» قبل أن يتعلّم كيف «أن التفاح الحلو ينضج فوق العديد من الفروع، وليس على فرع واحد، وأن سعادة البشر الفانيين، تأتي بحلول ذلك اليوم الذي سيقضون فيه على جوعهم ويلتهمون التفاح الناضج كله بسلام».

المعنى السابق الإشارة إليه سوف يتحقق ليس من خلال التعليمات، ولكن من خلال الخبرة. إنه طريق ويجب على كل فرد أن يسير فيه بمفرده. لا توجد مساعدة مرئية من أي جانبٍ على الطريق، وبينما يواجه المرء عقبات ربما لا يستطيع التغلب عليها بقوته الخاصة، فإنه يتحمل ذلك « كأنه نسر في السماء بأعمدة من الذهب يفتح أجنحته

على مصراعها كي ينحدر قليلاً ثم يرتفع عاليًا أكثر فأكثر، بدا لي ذلك النسر يطير بسرعة فظيعة، مثل البرق الذي يومض سريعًا كسهم من نار» لذلك فإن الاقتراحات التالية تهتم بالعديد من الطرق المضللة التي التزم بها العديد من الناس ظنًا منهم أنها قد تهدف إلى اقتيادنا نحو السعادة، وتلك الطرق، أغرت الأجيال الجديدة في شوقها المضطرب، أن تبذل كل ما هو غالٍ ونفيس للوصول إليها.

الطرق التي يسير بها الناس في البحث عن السعادة تقع جزئيًا عبر العالم الذي يعيشون فيه، وتدور أحداثه حولهم، ومن خلال تجاربهم الروحية. هناك أيضًا السعادة التي تأتي بسبب الثروة، الشرف، التمتع بالحياة، الصحة، الثقافة، العلم والفن؛ ومن ناحية أخرى، هناك السعادة التي توجد في الضمير الخيّر، الفضيلة، العمل، والعمل الخيري، الدين، والإخلاص للأفكار والأعمال العظيمة. إذًا فلنتناول طرق البحث عن السعادة:

## السعادة الظاهرية أو المادية

ومع ذلك، إنَّ طرق البحث عن ظاهرة السعادة مخيِّبة للأمال من ناحية لأنها ليست بالسبل اليسيرة التي يمكن أن يتبعها كل شخص حتى يصل لمبتغاه بسهولة، وبالتالي، فتلك الطرق لا يمكن أن تؤدي إلى السعادة بالنسبة للكثيرين. علاوة على ذلك، فإن امتلاك الأشياء المختلفة التي لا يمتلكها الآخرون تجلب معها بعض الوخز لضمير الأرواح النبيلة، والشعور بالتأنيب والحسرة، لأنك نظرت لما هو في يد أخيك، كما أن

الأشخاص الذين يتمتعون بتلك النعم من ثروة، وقوة، وصحة.. وغيرها، ويتذكرون الملايين من البشر الذين يموتون بسبب عدم حصولهم علي بعضها، يكونوا إما أنانيين تمامًا أو غير سعداء.

الثروة هي أخطر العقبات التي تهدد الروحانيات البشرية، وقلة فقط من الرجال في هذه الحياة قد تحرروا من إغراءاتها وعبوديتها. إن امتلاك وإدارة ممتلكات كبيرة مع وجود منصب يتمتع بقوة وشرف استثنائي، يؤديان إلى تغيير تصرفات وعادات المرء، إلى عادات تبعده تمامًا عن السعادة. يقشع المرء وهو يلاحظ كيف تبدو الحياة مملّة بسبب الأشخاص الذين بلا روح، ويذهبون بأعداد كبيرة وباستمرار إلى الجبال السويسرية كل عام، هربًا من الفراغ الذي يملأ حياتهم المزدهرة، دون تفكير في مشاغل أو مكدرات لحياتهم، لقد ضجروا من الحياة الناعمة المزدهرة! وهذه هي نتيجة البحث عن السعادة بالطرق المادية، أو سعادة الحياة الجمالية، ومن يدعي أنها مصدر نبيل وروحي، فهو كاذب؛ فالسعادة ليست في الثروة أو الأملاك الممتدة. الحدود بين أشكال السعادة الروحية، والسعادة المادية المجردة، ليس من السهل تحديدها بأي حال من الأحوال.

إن المدرسة الفلسفية الجديدة التي تدعو لاستشعار السعادة الجمالية في الفنون، مثل الموسيقى، الشعر، الرسم والنحت وغيرها من الفنون الإبداعية الرائعة، تتعرض لخطر جسيم في تفسيرها من منظور الفن، الذي يُنظر له على أنه بدعة مادية خالصة. يجب على أولئك الذين يسعون وراء السعادة أن يتذكروا مَنْ سبقوهم، الذين امتلكوا بدرجة

كبيرة القدرة على تحقيق السعادة في الحياة الجمالية. يقول جوته: «لم تكن حياتي سوى للعمل والاهتمام والرعاية، ويمكنني القول إنه خلال خمس وسبعين عامًا، لم ألاحظ سوى بأربعة أسابيع فقط من السعادة الحقيقية، رحلتي في الحياة كانت عبارة عن محاولات مستمرة لدرجة حجر، يجب تحريكه من القاع».

أربعة أسابيع من السعادة خلال حياة امتدت لخمسة وسبعين عامًا!

جوته يعلن أن الحياة في نظره ليست سوى البؤس! فالعامل الصادق المجتهد الذي في نهاية حياته يجدها مليئة بمشاكل حقيقية هو خير مثال على ذلك.

الحقيقة هي أن الطبيعة البشرية تبدو أنها ليست مُعدّة لهذا النوع من السعادة. الحياة مُعدّة للنشاط، وهذا النوع من الاستمتاع مُصمّم فقط لإعطاء نكهة وإحداث تغيير في نمط الحياة. أولئك الذين يهبون أنفسهم بثقة للحصول على هذا الاستمتاع، يخدعون أنفسهم بمرارة. حيث لا يمكن أن تنتج السعادة الحقيقية بشكل مفروض، بل إنها تنبع من المطلب الحقيقي للطبيعة البشرية والرضا بأفراح الحياة البسيطة.

علاوة على ذلك فيما يتعلق بمثل هذا الاستمتاع الجمالي، يجب ملاحظة أن مستوى السعادة الجمالية في الأدب والفن يتراجع الآن بشكل واضح لدرجة أن هذه الموارد لا يمكن أن ترضي لفترة طويلة، العقول المتعلمة أو الدول التي تسعى للتقدمية. قد يأتي وقت قريب يمل الناس فيه من «ازدهار» العلم والأدب والفن. وقد يرغبون في استبدالهم

بالعادات القديمة البدائية الصحية. هكذا وصف الشاعر النمساوي  
«روسيجر»<sup>(9)</sup>:

«إننا نرى بالفعل كل عام هجرة كبيرة لأشخاص، يهاجرون من المدن  
إلى الريف والجبال. وسيأتي الوقت الذي سوف يهاجر فيه سكان المدينة  
المزدهرون إلى الحياة الريفية؛ وعندما يهاجر العاملون في المدينة إلى  
الأماكن غير المسكونة ويسكنون بها، سيتخلون عن البحث عن الكتب  
والمعرفة. وعندما يفعلون ذلك، سوف يجدون سعادتهم وراحتهم في  
العمل البدني، وسوف يضعون القوانين التي بموجبها سيتم ضمان حياة  
مستقلة وسيختفي مفهوم الفلاح الجاهل المتأخر».

ومع ذلك، فمن المؤكد على الأقل أننا نقرب من فترة تتميز بالعودة  
إلى الطبيعة، وإلى الأذواق البسيطة، كما كان الحال في نهاية القرن الماضي  
عندما لعبت ماري أنطوانيت دور الراقية مع حاشيتها في تريانون،  
فقامت برسم الرسوم الكاريكاتيرية عن علية القوم، الذين يسافرون  
في كل صيف إلى سويسرا بفساتين منتفخة وأحذية مشدودة، ويحاولون  
إقامة علاقة ألفة وقرب مع الطبيعة. ويجدون أنفسهم سعداء بقدر ما  
تسمح به حياتهم التقليدية.

يمكن التعامل مع نظرية السعادة الظاهرية في كلمة واحدة، إنها  
السعادة المطلوبة في التحرر من القيود. هذه السعادة مثالية لأولئك

---

(9) روسيجر: يتر روسيجر كاتبًا وشاعرًا نمساويًا من كريجلاخ في مقاطعة ستيريا. كان ابنًا لمزارع جبال  
وترعرع في الغابات وجبال أبل. استمر روسيجر في أن يصبح أكثر شاعرة وكاتبة غزيرة بالإضافة إلى  
معلم ثاقب ورؤى. في سنواته اللاحقة، تم تكريمه من قبل مسؤولين من مختلف الجامعات النمساوية  
ومدينة غراتس.

الذين لم يسبق لهم أن مروا بتجربة الحرية من قبل، عندما لا تكون اهتماماتنا مفرطة، ومن خلال تغلبنا على تلك الاهتمامات سيأتي الجزء الأكثر أهمية وهو سعادة الإنسان. القيود ذات الطبيعة المعقولة ليست مشكلة، مثل قيود الحكومات على شعوبها، وقيود رب الأسرة على عائلته.. ستشهد الحياة العديد من التجارب الأوسع نطاقًا على أن التجارب المؤذية، والاختبارات الصعبة التي يخوضها الإنسان، ليست موجودة في الأيام العاصفة كأيام الحروب والمجاعات، ولكن المحك الحقيقي لتجاوز صعاب الحياة واختباراتها والحصول على السعادة، في أيام الراحة و السلم والرخاء.

## السعادة الروحية

ننتقل من أولئك الذين يبحثون عن السعادة الظاهرية (المادية) إلى أولئك الذين يبحثون عن السعادة الروحية في الحياة . يتوقع هؤلاء الأشخاص أن يتم تأمين السعادة لهم من خلال تأدية واجباتهم بضمير لأعمالهم الشخصية، للصالح العام، من أجل حب الوطن، العمل الخيري، والعمل وفقًا للتعاليم الدينية. ومع ذلك، فإن جزءًا كبيرًا من الميل إلى التشاؤم في أيامنا الحالية يأتي بسبب تجارب السعي في هذه الطرق التي قد لا تؤدي بالضرورة إلى السعادة التي يتمناها المرء! ربما أن «الواقعية» المتهورة السائدة الآن، تأتي من الاقتناع بأنها ستجعل المرء سعيدًا بدفعه عن اليأس من العثور على أي طريقة أخرى للسعادة. لا عملنا ولا فضائلنا يمكن أن تجلب السلام الداخلي لأنفسنا؛ إذا كانت الأنشطة التي نمارسها والأعمال الخيرية والوطنية مجرد استهزاء بالسعادة، وإذا كان الدين مجرد

شكليات دون يقين راسخ في النفس، وبما إن كل شيء بُني على باطل فهو باطل، إذًا: «لنأكل ونشرب وننغمس في شهواتنا، لأننا غدًا نموت!» هذه من أهم مبادئ الابتعاد عن السعادة الروحية، والانغماس في اللذات المادية، التي ستجلب سعادة قليلة الأمد فحسب!

أنا لا أشارك في الإدانة التي يوجهها الأخلاقيون لوجهة النظر تلك في الحياة. إنني أنكر فقط تلك الاستنتاجات المستخلصة من وجهة النظر هذه، وأدرك في نفس الوقت الهدف الصادق لهؤلاء الفلاسفة المعاصرين. أنا أدرك جِبْهم الصادق للحقيقة ومعاداتهم لكل العبارات المجردة. إن روح العالم الحديث تبحث عن السعادة وليست مجرد شجاعة فلسفية، بل أوجه نظر لها نتائج موضوعية تتطلب نوعًا من القناعة يكون لكل إنسان نصيب فيها.

أنا أيضًا أرغب في السعادة؛ لكنني أعلم أن الشخص الذي سيجد الطريق إلى السعادة يجب عليه، أولاً وبدون تردّد أن يرمي كل الأصنام الزائفة التي تم إغراؤه أن يعبدها. كما يجب أن يرفض التحيزات التي خلقتها الظروف أو العادات وسوف يخطو خطوة تلو الأخرى نحو السعادة الحقيقية.

وكما قال الإمبراطور المكسيكي ماكسيميليان «إن التخلي عن الكذب أو التحيز، يجلب معه إحساسًا بالبهجة». هذا هو دليلنا في هذا الطريق المظلم في البحث عن السعادة والذي لن تتمكن من العثور عليها على الإطلاق بدون بعض التوجيهات، حتى نجدها ونتشبت بها. «الحياة السعيدة أمام أعيننا مباشرة، نريدها ولكننا لا نعرف كيف نصل إليها».

## الرضا

أولاً يجب أن نعتزف بأن السعادة لا تتكون من معنى الفضيلة وحدها، لأن الفضيلة في كمالها لا تسكن في قلب بشري. حتى إن أكثر الناس غرورًا، يفتقدون الإحساس بالرضا. إن غرورهم بحد ذاته هو شعور بعدم اليقين بشأن قيمتهم، بحيث يحتاجون إلى تأييد دائم من الآخرين لإرضائهم. هناك مثل يقول إن الضمير الصالح يصنع وسادة ناعمة، ومَن لديه هذا الإحساس لا شك في أنه يتمتع بالسعادة، لكني لم أقابل حتى الآن مثل هذا الرجل. انطباعي هو أنه لا يوجد أحدٌ مَنَّا قام بواجباته بالكامل، حتى ولو ليوم واحد. كلما قام الرجل بأداء واجباته، كلما ازداد صقل ضميره وإدراكه بسبب اتساع دائرة واجباته باستمرار أمامه.

## الحب

هنا أتساءل مرة أخرى، هل العمل الخيري والعمل الصالح العام والخاص هو سر السعادة؟ هل توجد السعادة في الحب؟ الحب كلمة عظيمة، ومن بين الأشياء العديدة التي تهلك وتفنى، يبقى الحب موجودًا خالدًا. ومن الممكن إعطاء المرء كل ما لديه من خيارات لإطعام الفقراء ومع ذلك يفتقر للحب. المحبة جزءٌ من كيان الله، وهو لا ينشأ في قلوب البشر من تلقاء نفسه، مَن يمتلكه يعرف جيدًا أنه ليس باختياره. دائمًا الحب به مخاطر والذي يسلم قلبه للآخرين تعتمد سعادته على إرادتهم ويраهن على سعادته المتوقفة على محبتهم. هناك العديد من المحرضين الاجتماعيين في يومنا هذا يروجون إلى ضرورة نشر

الكرهية أو التعصب، يقومون بتعبئة الشعور الوطني ضد فئة ما، أو فصيل ما، ويعتقدون أنهم بذلك يخدمون أوطانهم أو أفكارهم، ولكن في الحقيقة، هذا دليل على خيبة الأمل المريرة لعاطفة الحب التي دُعي الملايين إلى الشعور بها، فالحب أسمى العواطف، والتوجيه لحب الوطن أو حب فكرة ما، أهم ألف مرة من توجيه الكراهية للعدو أو نقيض الفكرة.

## العمل

إدًا أين توجد السعادة؟ هل توجد السعادة في العمل؟ من المؤكد أن العمل هو أحد أهم عوامل السعادة البشرية، بل هو الأعظم. بدون عمل لا يمكن لأي إنسان أن يكون سعيدًا. ومع ذلك، فمن الخطأ الكبير أن نفترض أن العمل هو في حد ذاته سعادة، أو الاعتقاد بأن كل عمل يؤدي إلى السعادة. خيالنا وحده هو الذي يتخيل أن الجنة على الأرض مكرّسة للعمل الدؤوب، والأحمق فقط هو الذي يرضى تمامًا بالعمل الذي يقوم به، ويرى عدم كمال عمله بحيث لا يستطيع أن يقول عن عمله «لقد أنجزت شيئًا جيدًا اليوم».

إن مجرد مدح العمل ليس سوى نوع من الحافز الذي يحث به المرء نفسه أو غيره على مهام الحياة. حتى أولئك الذين يفخرون بوصف أنفسهم «عاملون» يهتمون كثيرًا بتقليل ساعات يوم عملهم قدر الإمكان. إذا كان العمل أساسيًا مثل السعادة، لكان هؤلاء الأشخاص يسعون لإطالة ساعات العمل قدر الإمكان وليس تقليلها.

## الفلسفة

الأكثر غرابة من بين جميع الباحثين عن السعادة هم أولئك الذين يبحثون عنها عن طريق الفلسفة التشاؤمية. هناك مَنْ يربط التشاؤم بانطباع خاطئ عن أهمية المرء، كمظهر من مظاهر الشهامة، يلقي المرء بآماله ويصدق أن كل شيء سين، حتى ذاته سيئة. يجب هنا التنويه أن التشاؤم كعادة عقلية، مجرد عباءة فلسفية مصنوعة من الغرور، الذي إن وُجدَ يفقد الإنسان الإحساس بالرضا والقناعة.

## الأديان

ومن بين جميع الأشخاص الذين يسعون إلى السعادة، فإن أكثر الناس تعاسة هم أولئك الذين يسعون إليها فقط من خلال التعصب الأعمى للمعتقدات الدينية، دون الإيمان بأن الأديان جاءت لتنشر التسامح والتفاهم. فيجدون أنفسهم في النهاية محبطين بمرارة، حيث تميل تلك المؤسسات الدينية التي تزي روح التعصب، إلى الوعود بما لا تستطيع أن تضمنه. طالما أن الناس يبحثون عن الرضا فإن طريقهم إلى السعادة يجب أن يكون مليئًا بخيبات الأمل، وتصبح خيبات الأمل هذه أكثر صعوبة، لأن الناس كقاعدة عامة لا يجروون على الاعتراف إما لأنفسهم أو للآخرين بأنهم يصابون بخيبة أمل. فيحاولون أن يتظاهروا لأنفسهم بأنهم راضون، لأنهم لا يرون طريقًا قد يعيدهم إلى السعادة والسلام غير ذلك.

أنا شخصياً أؤمن أنه إذا عبت الروح البشرية الله واعترفت

باعتمادها عليه، فلن يتخلى الله عن تلك الروح. علاوة على ذلك إن المعتقدات الدينية تجلب إلى الأشخاص سعادة أكثر مما يمكن أن تقدمه فلسفة الإلحاد.

هذه إذن هي بعض الطرق التي سعى بها الإنسان عبر التاريخ للبحث عن السعادة، وإذا لم نتعرف على تلك الطرق، وملتزم بها، فقد نجدها جميعاً في تجاربنا الخاصة المقبلة، ومع ذلك، لم يجد الإنسان في أي من الطرق التي سلكها السعادة التي يسعى إليها. إذا ما هي شروط السعادة؟

الشرط الأول: وهو الشرط الأكثر أهمية للسعادة الحقيقية، وهو الإيمان بالنظام الأخلاقي للعالم، فإذا كان المرء يعتقد أن العالم تحكمه الصدفة أو قوانين الطبيعية الثابتة التي لا ترحم الضعفاء.. وإذا تخيل المرء أن العالم يتحكم فيه ذكاء وقوة الإنسان فقط، فلا أمل في السعادة الشخصية في مثل هذا النظام، حيث لم يبقَ للفرد شيء سوى أن يُحكَم أو يحكَم؛ أن يكون الفرد إما سندان (سطح مستقيم لوضع المعادن عليه والطرق بالمطرقة) أو المطرقة. ومن منظور فكرة المواطنة، تؤدي هذه النظرة إلى العالم ليكون على حافة الحرب، وتنشب حروب طاحنة فعلية مستمرة، وتصبح سياسة العالم الواقعي هي كتاب «لأمير» لمكيافيلي<sup>(10)</sup>.

---

(10) ميكيا فيلي: ولد وتوفي في فلورنسا، كان مفكراً وفيلسوفاً سياسياً إيطالياً إبان عصر النهضة. أصبح الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنظير السياسي الواقعي، والذي أصبحت فيما بعد عصب دراسات العلم السياسي. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي كان عملاً هدف منه أن يكتب نصائح للحاكم، نُشر الكتاب بعد موته، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كان عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية.

في مثل حالة الحرب هذه، سيكون الخلاص الوحيد الممكن أمام جميع الشعوب المتحضرة، أن يتم فرض بعض السيطرة الحكومية الواسعة، والحكم بقوة حديدية. مثل هذه الدولة ستجعل الحرب بين الدول مستحيلة، كما كان ذلك مستحيلًا في زمن قيصر والإمبراطورية الرومانية ونابليون الأول. يجب على جميع العقلاء أن يحتجوا ضد وجهة نظر تسرق من الإنسان إرادته، حريته ومشاركته السياسية في الحياة. يجب أن نتذكر أن التاريخ قد علّمنا في العديد من الحوادث، كذب وحماسة مثل هذه النظرة. هناك بعض الأشخاص الذين يعتقدون أنهم مجبرون على قبول هذه العقيدة الاجتماعية، لأن تصوّر العالم كنظام أخلاقي لا يبدو لهم مثبتًا بشكل كافٍ. مثل هؤلاء الأشخاص، لا يمكنني إلا أن أكرر ما هو مكتوب في مدخل كتاب الجحيم (الكوميديا الإلهية) لدانتي:

«في منتصف طريق حياتي، وجدت نفسي في غابة مظلمة، إذ ضللت سواء السبيل، ما أصعب وصف هذه الغابة، الموحشة، القاسية، التي تجدد ذكراها لي الخوف». والغابة الموحشة التي يقصدها، هي العالم، بكل ما فيه من شرور وآثام.

أستطيع أن أقول أن محاولة التطبيق الفعلي لهذا النظام الأخلاقي على العالم، مستحيل. يمكن للمرء أن يختبر من يكون قلبه طاهرًا، بينما يخفي نفسه عن أولئك الذين يفكرون فقط في نظام الله للعالم.

إذا بدأ المرء ببساطة في العيش في عالم أخلاقي، فإن طريقه إلى

السعادة يكون بابه مفتوحًا أمامه بوضوح ولا يمكن لأحد أن يغلقه. يوجد في قلبه استقرار وراحة وطمأنينة تستجمع قواها وسط كل العواصف الخارجية للحياة. يصبح قلبه «ثابت». الخطر الوحيد الذي يواجهه هو خطر التعامل بجدية مع الأحداث المتغيرة كل يوم، ولكن يجب أن تكون رغبته أن يعيش بمزاج جيد وأن يبحث عن نصيبه اليومي من السعادة من خلال أنشطة مختلفة ولا يعتمد على العواطف فحسب، ثم يتعلم ما هو العمل حقًا. إنها ببساطة، طريقة الحياة الطبيعية والصحية التي تحرر الإنسان من العديد من الشرور الروحية الناتجة عن الكسل، وأيضًا من الشرور الجسدية التي لا حصر لها. العمل السعيد هو أصح الظروف البشرية، والعرق الصادق على الجبين هو مصدر القوة الدائمة والتجديد الذاتي وخفة القلب للإنسان للوصول إلى السعادة البشرية. إذًا سر السعادة لا ينفصل في الحياة عن الإيمان بالنظام الأخلاقي للعالم والعمل الدؤوب. بخلاف الشرطين السابق الإشارة إليهما، فإن جميع طرق السعادة الأخرى ثانوية.

القواعد الثانوية للسعادة والتي يمكن استنتاجها من تجارب الحياة والمبادئ السلوكية. نحتاج على سبيل المثال أن نكون شجعان ومتواضعين في نفس الوقت. يجب على المرء ألا يجعل المتعة غاية، لأن المتعة تأتي من تلقاء نفسها بالطريقة الصحيحة في الحياة. وأبسط الملذات وأرخصها هي الأفضل. كما يمكن للمرء أن يتحمل كل المشاكل، باستثناء مشكلتين: القلق والخطيئة.

توجد السعادة أيضًا في الأشياء الصغيرة وبين الناس المتواضعين.

وأفضل طريقة لتحقيق سلام دائم مع العالم هو عدم توقع الكثير من العالم والبيئة المحيطة بالإنسان، وعدم الخوف منهما. بقدر ما يمكن للمرء أن يرى الخير بداخله دون خداع للذات؛ واعتبار الشر شيئاً ضعيفاً ومؤقتاً سيهزم نفسه بنفسه. لذا يجب على المرء ألا يأخذ هذه الحياة على محمل الجد. إذا كانت أساسيات الحياة آمنة، فلا يجب أن نهتم كثيراً بالأمور الثانوية.

سأضيف فقط حقيقة أخيرة وخطيرة، وهي أن التعاسة ضرورية أيضاً في ظل ظروف حياة الإنسان أو بمعنى آخر: إن التعاسة ضرورية للسعادة. كما تُظهر لنا تجارب الحياة بوضوح، فالتعاسة أمرٌ لا مفر منه ويجب على المرء بطريقة أو بأخرى أن يتصالح مع فكرة حتمية وجود التعاسة في حياته وذلك التصالح سوف يؤدي إلى حالة من السلام الداخلي والدائم وليس الرضا الخارجي فقط.

## أهمية وجود التعاسة:

تفيدنا التعاسة بثلاث طرق:

1. طرق تراكمية في فعاليتها: كالعقاب نتيجة طبيعية لأفعالنا.
2. التعاسة هي عملية تطهير، فتوقظنا لنقبل الحقيقة.
3. تذكرنا التعاسة بمحاسبة الذات وتقويتنا، من خلال الكشف عن قوتنا الداخلية الخفية.

وبالتالي، ومن أجل الوصول للسعادة الحقيقية كما جاء في رؤية الفلاسفة الإغريق قديماً، يجب التحمل وعدم الإحساس بالألم، بل

التعايش معه وعدم الشكوى منه. فيجب على المرء أن يتقبل معاناته وتعاسته، وأن يتكيف معهما. ولتحقيق هذه الغاية يتم مساعدة المرء بالتفكير فيما تعنيه التعاسة بالنسبة له، والعيش باستمرار فوق سيطرة الشعور اللحظي.

باختصار: لا بُدَّ من القول إن تجارب الحياة العميقة للإنسان وبعض الآثار النبيلة التي نلاحظها في بعض الناس لا يمكن تحقيقهما إلا من خلال تحمُّل سوء الحظ. فتجديد القوة والسعادة العميقة التي يمكن اكتشافها، تأتي من خلال المحن نفسها.

ينظر الناس إلى العالم على أنه مكان خبيث، يحتقرون الأفعال المخزية، يحتملون الخطأ ويحسبون مكاسبهم وخسارتهم. لكن كما تعلمنا التجربة، أنه في مصائبنا كما هو الحال في متعتنا يتفوق الخيال على الواقع إلى حدٍّ كبيرٍ. نادرًا ما تكون أوجاعنا كبيرة مثلما صوِّر لنا خيالنا وغالبًا ما يكون الحزن هو البوابة التي تفتح على سعادة كبيرة، وبالتالي فإن الحياة الحقيقية تتطلب قدرًا معينًا من القسوة في التعامل، كأن على المرء أن يقول لنفسه: «قد ترغب في فعل هذا الشيء، أو قد لا ترغب في القيام به، ولكن يجب عليك أن تفعله». والتعليم الحقيقي يقوم على هذا الأساس.

يجب أن نتذكر ما قالتها الكاتبة الموهوبة في عصرنا «جيزيلا جريم» في الدراما الروائية التي قدمتها عن أسكتلندا القديمة: «السعادة هي الشراكة مع الله، والصفة الروحية الأهم التي تحقق نجاح هذه الشراكة، هي الشجاعة». أي سعادة أخرى غير تلك السعادة لا توجد على الأرض،

وإذا كانت هناك سعادة بدون هذه السمات، فلن تكون السعادة التي يجب أن نرغب فيها.

جوته، معلم أولئك الذين سعوا وراء السعادة اعترف أنه خلال خمسة وسبعين عامًا كان لديه أربعة أسابيع فقط من السعادة. لذلك يجب على المرء أن يقرر بشكل مُطلق دفع أي ثمن من أجل السعادة الحقيقية.



المقال السابع  
معنى الحياة



ما معنى الحياة؟ هو أهم سؤال يشغل الإنسانية! يجب أن يكون الإنسان سطحياً تماماً أو أقرب إلى الحيوان إن لم يتساءل عن معنى حياته طوال عمره! ومع ذلك، من المحزن أن نقول إن معظم الرجال تنتهي حياتهم دون العثور على إجابة لهذا السؤال. يعترف أحد فلاسفة العصور الوسطى اعترافاً حزيناً فيقول: «أنا أعيش لكني لا أعرف كم من الوقت سوف أبقى، أموت، لكن لا أعرف متى سأرحل ولا إلى أين سوف أذهب. كيف يمكنني أن أتخيل أنني إذا سعيد!»

وهناك أيضاً آخرون يبعدون عن أذهانهم تلك الأفكار التي كما يقولون «لا تؤدي إلى شيء»، ويكررون: «لنأكل ونشرب، لأننا غداً نموت». حتى بين المثقفين المتعلمين الذين جعلهم التعليم ذو رؤية أعمق، عدد أولئك الذين يجدون معنى الحياة منهم ليس كبيراً بأي حال من الأحوال. ولا يزال هناك آخرون ممن ليس لديهم الوسائل لتبني خطة معينة للحياة يبحثون عن بديل لها عن طريق التنافس الاجتماعي والانغماس في الذات. وإذا فشل ذلك، تكون المشكلة الحقيقية الوحيدة للحياة هي «مشكلة المعدة»؛ والتي نعلم أنه في إشباع المعدة، سيتم أيضاً إشباع المثل الاجتماعية للأعراق البشرية.

لا يزال هناك آخرون أكثر انتقاداً بشأن أي معنى للحياة. لقد توصلوا ليروا كيف أن كل المخططات لتخليص الحياة من متاعها غير عملية،

وصلوا أخيراً إلى اعتراف أحكم الملوك: « كل شيء باطل». إنهم يلتزمون بالشك بشأن أي معنى للحياة وعبادة العدم. بالنسبة لهم، نهاية الحياة تكون إما أن يصيب الناس حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق، فلا يشعرون بالمشاعر الخارجية المحيطة بهم على الإطلاق (النيرفانا)، الإبادة أو نسيان ما كانت عليه الحياة في السابق. وهنا هم يتوهمون أنهم وصلوا إلى موقف نبيل للغاية تجاه معنى الحياة مع تكرار كلمات الحكيم الهندوسي:

«من خلال دورة الولادة وإعادة الحياة التي لا تنتهي، ركضت وسعيت، لكنني لم أجد مطلقاً من قام ببناء هذا المنزل من الطين. يا له من بؤس!

أيها البناء! أخيراً أراك!

لن تبني لي مرة أخرى.

كل العوارض الخشبية الخاصة بك مكسورة الآن.

تهدمها أكاذيب تلك الدنيا!

قلبي تهدم أيضاً..

لقد رأيت نهاية كل رغبة»

هذه هي الكلمة الأخيرة لفلسفتهم. لم يبقَ نورٌ ولا أمل لحياة الإنسان. ومع ذلك، فإن الطبيعة البشرية غريزية جداً ومتلهفة للحياة باستثناء الظروف العابرة والمرضية.

مشكلة الفلسفة هنا أنها يجب أن تكون في المستقبل كما كانت في الماضي، بتسليط الضوء على معنى الحياة. مشكلة غالباً ما كانت

الفلسفة ترد عليها بعبارات لم تجلب أي معنى أو راحة لقلب الإنسان المضطرب، وليس من المستغرب أنه منذ بلوغ ذروة هذه الشكليات الجوفاء عند هيغل الفيلسوف الألماني، كان هناك شعور طبيعي بعدم الثقة في الفلسفة.

اعتبار الكون على أنه لا يحتاج إلى تفسير حتى في الوقت الحاضر، واحدة من الافتراضات الأساسية لمعظم الفلسفات، والتي لا يجوز السماح بأي حجة ضدها. وهذا افتراض أساسي للفلسفة، لأنه إذا تمت إضافة طرق أخرى لتفسير الكون، فإن الفلسفة كعلم مستقل ستبدو غير ضرورية.

ما يهتم به العقل البشري ليس الفلسفة كعلم، ولكن اكتشاف المعنى الحقيقي للحياة نفسها ومصيرها وماضيها ومستقبلها، مما يبرر فقدان الاهتمام بأي علم لا يساهم في النهاية في تفسير وتحسين حياة الإنسان. ومع ذلك ومنذ زمن أفلاطون إلى عصر هيغل وشوبنهاور<sup>(11)</sup> ونيتشه، كان عمل الفلسفة هو صنع العبارات. لذا ابتكر الفلاسفة لغة خاصة بها. وكان تاريخ الفلسفة تاريخًا للكلمات فقط لا ينقل أي تفسير حقيقي، ويبدو أنه منذ آلاف السنين من التكهانات الفلسفية، كان ينبغي أن تتحقق بعض التفسيرات، أو أنه كان ينبغي الاعتراف بأن الفلسفة لا يمكنها إلقاء مزيد من الضوء على الحقائق الأساسية في الحياة، بالرغم من أن نادرًا ما وافقت الفلسفة على هذا الاعتراف بالعجز.

(11) شوبنهاور: أشهر أعماله كتاب العالم إرادة وفكرة الصادر عام 1818 (وصدر الإصدار الثاني الموسع منه في عام 1844). يشخص فيه عالم الظواهر بصفته نتاج الإرادة العمياء للشيء في ذاته (نومينون). بنى شوبنهاور أفكاره على الفلسفة المثالية المتعالية لإيمانويل كانت، فبنى نظامًا ماورائيًا وأخلاقيًا إحدانيًا يرفض الأفكار المعاصرة التي سادت في عهد الفلسفة المثالية الألمانية.

شرحت الفلسفة بكلمات كبيرة معنى الحياة، وبينت التناقض الواضح بين الوجود والعدم. إن العالم الذي أمام أعيننا هو الذي يهمنا، ولذلك نسعى دائماً للتساؤل كيف نشأ هذا العالم؟ أو ربما يكون هذا العالم مجرد وهم أو سراب لأفكارنا وليس عالمًا حقيقيًا. ولكن، ما هي الاستفادة بافتراضية عدم وجوده وما المصلحة العقلانية لنا؟ لكن لا يمكننا أبدًا التحقق من هذا السؤال، أو الإجابة عليه بوضوح، فالإجابة تعني أن الحياة بلا أهمية على الإطلاق.

لا يزال الفلاسفة يطالبوننا بالابتعاد عن العالم الخارجي الذي يراوغنا والتركيز على وعينا أو ضميرنا الداخلي «الأنا» التي لا يمكن لأحد التشكيك فيها والتي لا تحتاج أيضًا إلى فلسفة لإثباتها. ومع ذلك، عندما تنطلق «الأنا» من وعيها الذاتي، وتخطو خطوة إلى العالم الخارجي، كأنها تفسر معنى الحياة. وهنا تنحني الفلسفة في بحثها عن معنى الحياة لسلطة العلوم الطبيعية، وتقترب تفسير الحياة من خلال مذهب التطور، الوراثة أو الانتقاء الطبيعي الذي أسسه «تشارلز داروين». كل ما هو موجود في الحياة يأتي من بروتوبلازم (مادة أساسية للخلايا البشرية) بدائي أو حتى من خلية بدائية منفردة. ومع ذلك، لا يزال السؤال القديم حول كيف خلقت هذه الخلايا في بادئ الأمر؟ وكيف تم تطورها وهوها على هذا النحو في الحياة؟ إنه السؤال العملي الذي طرحه نابليون وهو يقف منذ قرن من الزمان في ظل غموض النجوم على أرض مصر، أمام الأهرامات العظيمة، التفت إلى الباحث مونجي وسأله في حيرة: «مَن فعل كل هذا؟» ذلك السؤال التي لم تقم الفلسفة ولا العلوم الطبيعية بالإجابة عنه على الإطلاق.

إذًا، من المستحيل تفسير العالم على أنه خلق من تلقاء نفسه. إذا كان عقل الإنسان هو المفسر لوجود الحياة، فإنه يصبح هو الإله ويصبح الفلاسفة هُدًى للعبادة. في الواقع، إذا كان لدى الفلاسفة أي قوة في الملاحظة، فسوف يكتشفون حاجزًا أمام هذه الأهمية المفرطة للإنسان، إنه الوعي بالحد من قوة الفلاسفة في تفسير معنى الحياة بالطريقة الصحيحة مع استحالة إيجاد معنى لحياتهم داخل تلك الحياة نفسها. هذا هو ضعف فلسفة الوجود منذ زمن الفيلسوف سبينوزا، والتي كانت تسيطر أفكاره إلى حدٍ كبيرٍ على الفكر التأملي لهيجل وشوبنهاور وجوته حيث كانت الفلسفة هي العقيدة السائدة للمثقفين والمتنورين. لا يوجد شكل من أشكال الفلسفة محببًا في عواقبه الأخلاقية، بل يولد ازديادًا للنشاط الأخلاقي؛ إنه يفقد الإنسان حقَّ الإرادة في معارضة الشر ومناصرة الخير. ثم عاجلاً أم آجلاً، تظهر النتيجة الطبيعية لهذه الاعتقادات في شكلٍ من أشكال الخرافات مثل التنويم المغناطيسي، الروحانيات، أو البدائل المبتذلة للدين. وهكذا تكتمل دورة التأمل الفلسفي وتعود بعد قرون إلى نفس النقطة التي بدأت عندها. قد يكون الشكل النهائي للحقيقة ليس أنظمة الفلسفة المجردة أو علم اللاهوت التأملي التي أثبتوا أنهم غير مرضين. تلك الأفكار الفلسفية مجرد تلخيص للتجربة البشرية أثرت على مصير الإنسان عبر التاريخ. وأين نجد هذه الفلسفة التي تكتشف معنى الحياة ليس من خلال التأمل، بل من خلال تفسير التجربة ذاتها مع ملاحظة القوة الروحية التي تخلق وتحافظ على الفرد والعالم؟ هذه هي نظرة الحياة التي حققتها الأديان والتي لا يمكن أن تسمى فلسفة بالمعنى التقني؛ لأن

الفلسفة هي ذاتها مدعوة لتوضيح الأسباب التي جعلتها تصل للنتائج بتلك الطرق، يواجه اللاهوت كعلمٍ إيجابيٍ نفسَ مصير الفلسفة، فلا يمكنه إثبات وجود الإله لأن الفلسفة لا تستطيع تفسير العالم أو الحياة البشرية في ذاتها أو من خلالها. إن ما يسميه الناس «الأنطولوجيا» أو براهين وجود الله ليس علمًا حقيقيًا، ولا يقنع أحدًا غير المؤمنين به بالفعل، وجود الله يتجاوز تفسيراتنا، ولذلك ذهب فريق من الفلاسفة إلى أن الإله الذي يمكن تفسيره لن يكون إلهًا حَقًّا، والرجل الذي يمكن أن يشرح من هو الله لن يكون إنسانًا. الهدف المشروع للحياة ليس رؤية الله كما هو، ولكن رؤية شؤون هذا العالم والحياة البشرية كما يراها الله.

لذلك يجب ألا نتخيل أن السبب الحقيقي لوجود العالم الذي خلقه «الله» يمكن إثباته فلسفيًا. الإيمان بالله هو أولاً وقبل كل شيء تجربة شخصية، لا شيء يجب أن يخفي هذا الافتراض، على الرغم من أنه حجر يعثر عليه الكثيرون الذين يبحثون عن معنى مناسب للحياة. وللأسف، لا يمكن فعل أي شيء لمساعدة أولئك الذين يرفضون هذه التجربة، فلا حجة يمكن أن تقنعهم، ولا توجد فلسفة تحث للتصميم على الإلحاد.

هذا اعتراف يجب أن يؤثر بشكل خطير ليس فقط على علاقاتنا الدينية والفلسفية مع الآخرين، ولكن أيضًا في حياتنا العملية والسياسية. هذا هو الاختلاف الرئيسي بين الناس من نفس الأمة، أو نفس الحالة الاجتماعية أو نفس الحقبة الزمنية والتاريخية، أو حتى نفس الأسرة. الإلحاد والإيمان متاحان بشكل متساوٍ لطبيعة الإنسان، ولكن عند

وجود اختلافات في الرأي، قد تتواجد أرضية مشتركة، لكن لا توجد أرضية مشتركة بين الإيمان والإلحاد.

إذًا فلسفيًا، الإيمان بالله هو شكلٌ من أشكال الخبرة وليس شكلًا من أشكال الإثبات. فإذا كانت التجربة غير مثمرة كدليل، فلن يكون الإيمان بالله أكثر من حالة نفسية. ومع ذلك، فإن الإيمان الآخر الذي لا ينبع من التجربة لا يتوقعه الله من أي إنسان، وبينما يوجد النوع الأول من الإيمان بوفرة لكل إنسان في تجاربه الخاصة، يوجد في رفض الإيمان اعتراف ضمنيًا ليس فقط بالخطأ الفكري بل بالتجاهل الأخلاقي. وكثير من الرجال الذين فقدوا إيمانهم سيكونون بطينين في الاعتراف بمدى إدراكهم أن الخطأ من جانبهم، ولذلك فالإيمان ضروري، حتمي، لكي تكون هناك أرض صلبة تنشأ عليها السعادة المنشودة.

هنا هي الخطوة الأولى نحو اكتشاف معنى الحياة، إنها الإرادة، المشروع الأخلاقي والاستماع لتجارب الآخرين. لا يمكن لأي شخص أن يحذف تلك الخطوة الأولية لفهم معنى الحياة، ولا يمكن لأي شخص أن يعلم غيره الدروس المستفادة من تجاربه الخاصة. هنا أيضًا تقف إرادة الله الحرة التي تخلق العالم وتوجهه غير مقيدة بما يسمى بقوانين الطبيعة، ومع ذلك رغبات الله ليست تعسفية أو فوضوية. من ناحية أخرى، يتم بلوغ ذلك الشعور بالحرية حيث الإحساس بالمبادرة والقوة، إنها الإرادة الحرة للإنسان والاختيار الحر أمامه بين طاعة الله أو الرفض. وقد تختار الإرادة الحرة للمرء الخطيئة ولكن بدون التأثير على غايات الله أبدا. ما هي الحياة البشرية إذن؟ إنها حياة طاعة حرة لقوانين الله الأبدية والثابتة. حياة تبلغ من خلال الانضباط الذاتي والقوة الروحية

للمرء. وقد يحصل تدهور تدريجي للقوة الروحية للإنسان الذي سوف يؤدي إلى الشعور بإدانة الذات.

إدًا ما هي الحياة السعيدة؟ إنها حياة الانسجام الواعي للإنسان مع هذا النظام الإلهي للعالم، بمعنى آخر أن يصبح الإنسان في معية الله.

وما هي التعاسة؟ إنها الحياة في البُعد عن الله، وعدم الإحساس بالسلام الداخلي وراحة القلب الذي لا يمكن علاجه، وفي النهاية عدم القدرة على جعل حياة المرء مثمرة أو فعالة.

ولكن نحن في بعض الأحيان نميل إلى تخيل أن هذه التجربة التي لا يمكن إثباتها غير واقعية أو ميتافيزيقية، أو بلا هدف، أو خيالية؛ لذا فمن الأفضل أن نتعامل مع هذه الشكوك كما نتعامل مع الأفكار الأنانية التي نحاول تجاوزها بحزم. من أجل أن ندخل إلى عالم أفضل، يجب أن ندخله بالإيمان وليس بالبصر. وينمو هذا الإيمان أكثر ثقة وأكثر دعمًا حتى يصبح مخزونًا للبصر الداخلي أو وعي الإنسان. ولكن طغمت شكليات الدين التي حوّلت تعاليمه العملية إلى مجرد محظورات أو آليات، ولكن وراء هذه الانتهاكات في التاريخ، تكمن البساطة للحرية الروحية والحياة. نصل إدًا إلى فلسفة الحياة وهي ليست تخمينية أو خيالية، ولكنها تركز على أمور حدثت من قبل في التاريخ. تلك الأمور هي: «الطريق، الحقيقة، والحياة».

أولًا: من الأفضل أن يجد المرء «الطريق» للوصول لمعنى الحياة، ولكن دون وجود عدد كبير من الصحبة أو المرشدين. وعندما يسير المرء في الطريق يكتسب الشجاعة حتى يجرؤ على مواصلة بحثه، وقد يذهب

أبعد من ذلك ويفتح الطريق نحو التأكيد على أن الحياة بكل أسرارها لا تُعاش عبثًا. وفي الطريق يكتشف المرء أهمية الصحة الجسدية والروحية، حيث تعتمد الصحة الجسدية أكثر على الحالة الروحية أكثر من اعتماد الحالة الروحية على الصحة الجسدية للإنسان. ونهاية «الطريق» ليست في الوصول إلى تحقيق الخير والسلام، فالنهاية لا تؤدي فقط إلى الصحة الجسدية والروحية للمرء، بل إلى الصحة الاجتماعية أيضًا من خلال تقوية الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع. هنا وحده الخلاص الاجتماعي الإيجابي. بينما الآمال في طرق أخرى للإصلاح الاجتماعي هي في الأصل أحلام خادعة.

وأخيرًا من المؤكد أن الطريق سيقود كل من يتبعه إلى ما ينشده، ولكن مع الاستعداد لدفع ثمن معرفة الحقيقة والحفاظ على السلام الداخلي في نفس الوقت. لا توجد طريقة أخرى للحياة تسمح بهذا الإحساس بالسلام والطمأنينة. وبخلاف ذلك، ليس لدينا سوى النضال من أجل الوجود، السعي، وانتصار القوى المؤقتة على الضعيف. الأقوياء الذين لديهم القليل من القوة ولكنهم يعيشون في خوف يومي من أن هذه القوة ستفشل وتتركهم تحت رحمة جيرانهم الأشرار.

في كل صفحة من صفحات تاريخ العالم وفي اختبارات الحياة اليومية، يكتب الله تعاليم حياتية صعبة، وغريبة، وغير متوقعة! فمن وسط الشر يسيطر الخير. في العصر الحديث كما في العصور القديمة يرث الذين استخلفهم الله على الأرض ويسيطرون عليها. ومن يحب الحرية ويقرأ التاريخ، فإن منطق التفكير يقود إلى الإيمان بالله. بدون هذا الإيمان

يصعب النظر إلى حركة العالم الحديث بأمل، وبدون مثل هذا الإيمان، المملجأ الوحيد للروح هو الخضوع لسلطة بشرية ما سواء كانت السلطة الدينية أو سلطة الدولة.

ومع ذلك، يجب أن نكرر أن سر التقدم الحقيقي لا يمكن العثور عليه في تحقيق إنجاز فلسفي أو في عملية التفكير، ولكن في الاختيار والتجارب الحياتية التي تؤدي إلى الاعتراف بالحقيقة وتجربة السعي للوصول للسعادة.

المقال الثامن  
أرواح نبيلة



في وقت ما، جميع القدرات الطبيعية للكائنات تبدأ بالظهور في ظل وجود هدف معين. والإنسان بصفته الكائن العاقل الوحيد في العالم، لديه قدرات مخصصة تستخدم لأسباب يمكن أن تتكشف لأشخاص معينين وليس لكل فرد بعينه. ولأن هذا لا يحدث من تلقاء نفسه، فيجب أن يكون هناك أفراد متفردون في الحياة يستخدمون الظروف ويطورونها بناءً على الأقدار المكتوبة، لتحقيق التطور المنشود للبشرية. ولكن يجب أن يكرسوا أنفسهم لتحقيق ذلك الغرض، وأن يضعوا جانباً جميع الأهداف الشخصية الأخرى.

نستنتج من ذلك، أنه لا توجد حياة بشرية واحدة تكفي تمامًا لهذا الغرض، ولكن لا بُدَّ من وجود فئة معينة من البشر، يسلمون المهام من يدٍ إلى يدٍ لهذه المهمات. وبهذه النية، اعتز أتباع نبي الله موسى عليه السلام، قديمًا، بالخطة التي وضعها الله لهم، لانتشال قبائل بأكملها من ظروف الحياة العادية، لتكوين أمة، وذلك من خلال حيازتهم لتعاليم الله، والتزامهم بها وتطبيقها في شتى مناحي الحياة. من الجدير بالذكر أن هذه القبائل مُنعت من حيازة الممتلكات، لأن الرب يجب أن يكون وحده هو الوارث، وصاحب كل شيء على وجه الأرض. وكان كل فرد ملزمًا لمصلحة الكل بمساعدتهم في إعالتهم بما يوازي واحد على عشرة من دخله. هل مثل هذا النموذج يمكن تحقيقه في أي من دولنا الحديثة؟ وهل يمكن الاحتفاظ بهذا النموذج (وهذه هي النقطة المهمة) إلى أجلٍ

غير مسمى؟ لكن يبقى اليقين أن كل مجتمع بشري يحتاج للتعزيزات والمساعدات من أجل الحفاظ عليه والذي بدونه سوف يحل الفساد لا محالة. هذه التعزيزات هي «النفوس النبيلة». لذلك، فإن أصحاب النفوس النبيلة هم الذين يتخلون تمامًا عن الأهداف الرئيسية للنفوس العادية للبشر في التمتع الشخصي بالحياة من أجل أن يجعلوا من أنفسهم أكثر فاعلية في تطوير عرق أو سلالة بأكملها.

لا يمكن تجديد وارتقاء الأمم والدول على الأقل في البداية إلا من خلال التكوين التدريجي لمثل هذه المجموعة من المتطوعين داخلها، بحيث تقبل بجدية التضحية من أجل الآخرين والهدف الأسمى وهو الارتقاء بالأمة. هذا المفهوم للحياة يمكن أن يبقى على أساس فردي بحت، دون أن يتخذ أي شكل خارجي أو منظم.

ما هي إذاً الخصائص الضرورية للنفس النبيلة؟ ما هي العوائق الرئيسية التي تقف في طريق هذا التوجه الاستثنائي للروح؟ وأخيرًا هل من الممكن في عصرنا هذا السعي وراء هذا الهدف؟ هل سيقبلون، وماذا سوف يفعلون؟

## صفات النفوس النبيلة

تتسم صفاتهم بالنبل: لهم رؤية واسعة، قلب كبير يتسع للجميع، لا مبالاة تجاه الذات، الاهتمام بالآخرين، الشجاعة عنصر أساسي؛ وأيضًا عدم السماح لأي شيء في العالم أن يفرض عليهم لأنهم يؤمنون بالحرية. النبلاء حقًا في هذا العالم لديهم عاطفة تجاه الأطفال، تجاه المظلومين وحتى تجاه الحيوانات، ودودون مع الخدم وغير متعجرفين.

## صفات النفوس غير النبيلة

هي النقيض للنفوس النبيلة، قلب غير متسع للجميع، لا يفكرون إلا في الذات، يتعلقون بأهداف صغيرة في الحياة وجنباء. الغرور والافتخار بالذات، حب المديح، الاستمتاع المفرط بأي نوعٍ من المتع في الأكل والشرب، في الموسيقى والدراما وفي مواعدة النساء. الرجل النبيل لا يستسلم أبدًا لملذاته أو افتخاره بقوته. ولا يتحدث كثيرًا عن نفسه والتباهي بأعماله الخيرية وإثارة ضجة كبيرة حوله.

اللامبالاة تجاه الذات، هي الخاصية التي تفصل بين النبلاء الحقيقيين والنبلاء الزائفين لأن هذه هي الصفة التي لا يتحلى بها النبلاء الزائفون أبدًا. عنصر آخر يفصل بينهم وهو طهارة الروح، وتفضيل الروح على الجسد المادي. فما هو مبتذل يصبح بالنسبة إلى النفوس النبيلة غير طبيعي وبغيضًا جسديًا. بينما في النفوس غير النبيلة يكون سحرًا وإغراءً.

## خصائص النبلاء

من النبيل أن تكون ودودًا مع الخدم، لا تستبد أبدًا ولا تكون متعجرفًا فليس من النبيل أن تشعر بالازدراء تجاه من هم أقل شأنًا منك أو تجاه الفقراء. مفهوم الصيد والمطاردة بقدر ما يُعتبر نوعًا من ملذات طبقة النبلاء، لا يمكن اعتباره شيئًا نبيلًا أبدًا، فأين هي المتعة والنبيل في قتل مخلوقات عزل ضعيفة؟

النفوس النبيلة غير متشائمة، المتشائمون أولئك الذين فشلوا، وغير قادرين على النضال بشجاعة، وعندما لا يكون تشاؤمهم مجرد مرحلة عابرة، فإن المتشائمين دائمًا ما يكونوا رجالًا مغرمين بمجموعة من الأفكار

ومنتقدين دائمين. أن تكون لطيفًا مع الأصدقاء، أو أن تكون ودودًا ومنصفًا تجاه الجميع، هو أمر محبب اجتماعيًا لكن أنبل شيء على الإطلاق هو القدرة على حب أعداء المرء.

هناك طرق لإخفاء أفعال المرء المشينة بدون أن يتم اكتشافها من أجل الفوز بمديح مزدوج والظهور بمظهر الشخصية النبيلة. ولكن لا يزال الطريق طويلًا كي يكون المرء نبيلًا. لكن أولئك الذين يتأملون في صمت ويكونون منصفين مع الأعداء مثلهم مثل الأصدقاء هم روح النبلاء حقًا. النمط المثالي للنبيل، هم الرسل والأنبياء أصحاب الضمير الواعي الهادئ، هم ذلك المزيج المثالي الذي لا يمكن الوصول إليه، لديهم فرط في المودة تجاه الصغار والفقراء، يسعون لإنصاف المضطهدين، والمذنبين، أمام الأثرياء والأقوياء بلا تحدُّ أو فخر. إنها التركيبة التي تضي عليهم طابعًا يصعب التصريح على أنهم مثل جميع السلالة البشرية البحتة. لذلك، كل البشر الساعين وراء الكمال يتبعونهم، ومن يتعد عن نهجهم، فهو يخاطر دائمًا بمطاردة المثل الأعلى الخاطئ، ولن يحقق أبدًا الهدف الأسمى في الحياة. كما قال أحد الساعين وراء المثل الخاطئة «في صدر كل رجل تسكن روحان: روح للحب والسعادة والتي تتشبث بالعالم بقوة، وروح تنأى بنفسها بعيدًا عن الضبايية». إن القوة التي تُبدل لإخضاع الروح والإيمان بهذه المعتقدات تنتمي دائمًا إلى النبلاء.

يقول الشاعر الذي خضع تمامًا للروحين بداخله، في الجزء الثاني من أشهر أعماله «أيها الأحمق، من يرفع عينيه الغامضتين بعيدًا، ويتخيل نفسه ذا مكانة فوق الناس الذين يشبهونه في الصفات، يجب أن يقف وينظر حتي يسمع و يتيقن أن هذا العالم ليس ثابتًا، يتحرك، ولن تبقى

في مكانك» بناء على تلك الكلمات، فنظرية النبل بها أيضًا شيء من الحماسة، ولكنها تظل أعظم حكمة على وجه الأرض.

## معوقات النفوس النبيلة

العقبات الرئيسية للوصول لصفة النبل الحقيقية، تبدأ بـ «النبل المزيف» وغير الحقيقي الذي يحاول بعض الناس التظاهر به، وأيضًا «خوف الرجال». إن وجود نوع من «الأرستقراطية» في كل مجتمع، هو دليل على حاجة المجتمع لتلك الصفة، ومع ذلك قد تكون في نفس الوقت السبب الرئيسي لانحلاله. قد يرى البعض أن الأرستقراطية مُحيرة، وفي أفضل حالاتها وأنقى صورها لا يحق لها الوجود، وفي أسوأ حالاتها حين تمتلك أعظم الحقوق أيضًا.

أما بالنسبة لخوف الرجال يقول كاتب حكيم يتحلّى بالإيمان: «مخافة الإنسان تسقطه، ولكن من يتوكل على الله فهو آمِن». هذا يتوافق إلى حد كبير مع التجربة، حيث يقود الخوف الإنسان دائمًا إلى طرق فرعية بها خزي. ولكن في نفس الوقت أي شخص، حتى القوي لا يمكن أن يبقى بلا خوف إلى الأبد، إذا لم يكن عنده إيمان يمكن أن يعتمد بشكل مُطلق في حمايته. وجود الخوف يجلب معه مجموعة من الرذائل الصغيرة مثل: الكراهية، الحسد، الغيرة، الانتقام، والخبث والظلم. وكلها صفات لا تمت إلى النبل بأي شكل من الأشكال وكلها عواقب الخوف.

يجب أن يتحرر البشر من الخوف لأن الروح النبيلة المتحررة من الخوف أساسها الإيمان الراسخ. أولئك الذين ينتمون إلى الطبقات العليا في المجتمعات يعيشون في الغالب في حالة من الوهم والخداع الذي نشأوا

عليه والذي يحرمهم من فكرة أنهم مدينون للإنسانية أكثر من مجرد وجودهم. أو أنه لا يوجد مجتمع آخر بشكل غير الذي يعرفونه ولكن فقط «العشرة آلاف الأرقى» كما يطلق عليهم في إنجلترا والذين ينتمون إليهم. إنهم يرون أنفسهم كممثلين لما هو «جميل» في حياة الإنسانية، إن صحَّ التعبير «الوردة التي تزين نفسها وتزين الحديقة أيضًا».

ولكن الفعل النبيل يتبع نفسه بالضرورة بينما لا يكون إلا نفاقًا بدونه. كقاعدة عامة الوافدون الجدد إلى الأرستقراطية من الطبقات الدنيا هم أقل نُبلًا من أرستقراطية المولد الذين يجلبون معهم طبيعتهم الخادعة الفطرية وأيضًا الأرستقراطيين الماليين المتغطرسين الذين جعلوا أنفسهم أغنياء. ذلك النوع من الأرستقراطية لن يزول من الوجود، من ناحية أخرى فإن الأرستقراطية، التي لم يُعد لها أي أساس في أمتها، هي بالتأكيد أرستقراطية زائفة وقابلة للسقوط.

الغطرسة التي تفوق موهبة المرء أو نجاحه هي علامة على الروح المظلمة. في قصيدة دانتي العظيمة يقول، إن التحرر من الكبرياء يحدث فقط كنتاج لتدفق النعم، والتواضع يُمنح للرجل الذي يظهر نفسه من كل أخطائه ويوظف كبريائه في التغلب على الخطايا التي تتعارض مع نبل الروح.

التعبير الأكثر كمالًا عن الرجولة والفضيلة بالمعنى القديم في العصور الوسطى هي تلك الروح الشجاعة والتي يتم التعبير عنها اليوم في كلمة «رجل نبيل» على الرغم من أن هذه الكلمة قد تكون فارغة من معناها الحقيقي. «اللطيف، عندما يتزوج من الرجولة يصنع الإنسان».

ومع كل ذلك، من المستحيل ألا يكون هناك إلا الأرواح النبيلة فقط على الأرض لأنه سيكون ذلك في «العالم الآخر» ولكن كلما فاز الإصلاح الديمقراطي سيثبتها الله دائماً ويدعمها.

## الأرستقراطية الحقيقية (التحصّر الحقيقي)

بالنسبة للأرستقراطية الحقيقية هناك امتياز آخر أكثر من شوق البشر العاديين للسعادة والمتعة، وهو الإيمان بقوة الحزن، فليس من الجيد للنفس النبيلة أن تتعافى تماماً من الأحزان. فالأحزان نواة كل الأخلاق الحقيقية سواء كانت قائمة على الفلسفة أو على الدين. تقبل الحزن والانتصار عليه يبني في النفس طبيعة أفضل بداخلها وسيظل رجلاً نبيلاً ذو طبيعة دينية في الأساس، بقدر ما قد يقاوم عقله أي اعتراف بالإيمان الديني. وهكذا، يجب أن تكون الروح النبيلة قادرة على تحمل الظلم كما هو موجود في العالم، وأن تؤمن أنه لن يتوقف، سيظل موجوداً إلى قيام الساعة. هذا العالم يحتاج إلى القول الجريء والحكمة، «من يتمسك بقوة العقل سيشكل العالم».

أخيراً كان هناك رجل حكيم قال: «في الصراع من أجل الوجود، هناك دائماً مساحة فارغة في الطبقات العليا فقط، لأن الأماكن في الطبقات الدنيا والوسطى ممتلئة بالكامل». لذلك، صغار السن غير الراضين عن أنفسهم في بحثهم عن السعادة، فيجب أن يسعوا في الحال لتحقيق أهدافهم في الحياة، لأنها إرادة الله في الأرض. كما أن السعي من أجل السعادة يجلب السلام إلى النفس، في حين أن جميع الأهداف الأخرى تجلب الكثير من خيبة الأمل والمرارة.

وأخيراً البحث عن السعادة هو الهدف الوحيد الذي يكون فيه  
السباق مع أولئك الذين يتنافسون على نفس جائزة المنتصرين من  
الأصدقاء والمساعدين. حيث أنه لن يتم استقبال المرء حين يحقق  
الهدف الذي يسعى إليه من قبل الحساد والخصوم، ولكن من قبل  
الأصدقاء والرجال المخلصين أصحاب نفس النفوس النبيلة، والذين معهم  
فقط يستطيع المرء أن يعيش حياة جيدة، وفي سلام.

كارل هيلتي

## ملاحظة

«فون كلينجر» حافظ على شخصيته الصريحة وشجاعته الأخلاقية واكتسب احترامًا كبيرًا من معاصريه. فيذكره «جوته» بقوله حافظ على الطابع الإستليني ليكون أكثر مصداقية في خضم الحياة الدنيوية والتجارية مستخدمًا الحكمة عند استخدامه لسلوك قد يبدو للكثيرين فظًا ومفاجئًا ليحقق غاياته ووصل إلى أهم المناصب، واستطاع أن يحافظ على استحسان النبلاء لخدماته و لم ينسَ أبدًا أصدقاءه القدامى.



## خاتمة الترجمة العربية

انتهت الرحلة مع كتاب «السعادة»..

شاهدنا آراء الفيلسوف والسياسي «كارل هيلتي» في أهم موضوع يشغل البشر، منذ نزول أبينا آدم وأمنا حواء، من جنة الفردوس، وحتى قيام الساعة ونهاية العالم كما نعرفه.

انتهى في كتابه إلى أن السعادة، لا يمكن الحصول عليها بحسب مفهومنا المادي الضيق؛ السعادة ليست في المال، أو في القوة، أو في السُلطة، جميع هذه الأشياء هي ضرب من ضروب أحلام اليقظة لتعويض ضعف إنساني في شيء ما؛ الفقير يطمح للمال، والحقير يطمح في سلطة، والقبیح يتمنى أن يصبح أكثر الأشخاص جاذبية.. وهكذا.

السعادة موجودة، إذا بحثنا عنها وقمنا بالالتزام بالمبادئ التي وضعها «هيلتي»، وأن نتنزه عن الأطماع المادية ونقوم بالتركيز على المبادئ الإنسانية التي تكفل السعادة.

«العمل، سيحقق لك السعادة»

احرص أن تعمل ما تحب، اعمل في وظيفة أحلامك، التي تنجح فيها، وتبرز فيها مواهبك، اعمل جاهداً، وأشعر بقيمتك في الحياة، وأنتك عضو نافع لوطنك وأمتك.

اعمل بجِدِّ، ولا تفكر في الراحة، أو العائد المادي فحسب..

فقط اعمل لتحقيق ذاتك، وعندما تفعل ذلك ستشعر بالسعادة دون

شك .

«التزم بالإيمان»

أن تكون في معية الله هي أفضل شيء في الوجود، أن تكون محبوبًا من الله، فيحبك العباد، فتشعر بالحب يحيط بك، وتكون أسعد الناس.

لقد كره «هيلتي» في كتابه فكرة الإلحاد التي شاعت في ذلك الوقت، ونشرها العديد من المثقفين والعلماء، وحدثت هجمة ضارية على كل ما هو ديني وروحاني، ولكن الرجل في كتابه، يوضح أن الإيمان هو أحد طرق السعادة، كيف تشعر بالسعادة وأنت عدوٌ للخالق؟

كيف تشعر بالسعادة وأنت لا تركع لسيدك، الذي أغدق عليك بنعمه الجزيلة؟

«الحب»

انشر الحب حيثما كنت، أحب الناس كي يحبوك..

العداوة والكرهية ليست الحل لحياة هنيئة وسوية، ولكن الحب والتوافق سيجعلانك إنسانًا سعيدًا.

الحب هو السبيل الأول للسعادة، وحتى أنبياء ورسول الله كانت رسالاتهم تدعو للمحبة، والمساواة وفعل الخير.

فيقول المسيح عليه السلام: «أحبوا أعداءكم».

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ

لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»

بل ويقول الله عز وجل: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»

«التضحية والنبيل»

كن شمعة تحترق لأجل الآخرين...

ساعد إخوانك وزملاءك وأقاربك، وحتى الأعراب عنك.

لا تترك يوماً يمر عليك دون عمل خير، استخدم قوتك ومالك وعلمك لخدمة الآخرين، وعندما تنظر في عيونهم، وترى نظرة الامتنان، وتسمع دعوات الرزق والبركة في العمر والمال، متبوعة بكلمات الشناء.

ربما يومها ستشعر بالسعادة الحقيقية، سعادة لا تزول!

اعمل..

أحب..

آمن..

كن نبيلًا...

ستعيش سعيدًا

## المحتويات

7	المقدمة
9	عن الكاتب
13	مقدمة فرانسيس جرينود
15	المقال الأول: فن العمل
31	المقال الثاني: كيف تخوض معارك الحياة
47	المقال الثالث: عادات جيدة
59	المقال الرابع: أبناء هذا العالم أذكى من أبناء النور
69	المقال الخامس: فن إدارة الوقت
87	المقال السادس: السعادة
105	المقال السابع: معنى الحياة
117	المقال الثامن: أرواح نبيلة
127	ملاحظة
129	خاتمة الترجمة العربية

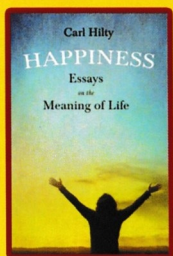
# كارل هيلتي السعادة

خواطر عن معنى الحياة

يقول الكاتب العظيم (تولستوي) "إن غاية الحياة هي الحصول على السعادة". يدعمه (أرسطو) قائلاً: "السعادة هي معنى وهدف الحياة". أما (سومرست موم) فيقول: "السعادة هي العطاء". وينظر المخترع الكبير (بنجامين فرانكلين) في شرود ثم يقول: "السعادة تكمن في متعة الإنجاز ونشوة المجهود المبدع".

الكاتب والمفكر الكبير (د. مصطفى محمود) قائلاً بصوته الهادئ: "السعادة ليست في الجمال ولا في الغنى ولا في الحب ولا في القوة ولا في الصحة، السعادة في استخدامنا العاقل لكل هذه الأشياء".

والآن حان الوقت لنعرف ما هي السعادة، ونحاول تحقيقها ونحن نقرأ صفحات هذا الكتاب الذي يُعد من أهم الكتب التي بحثت عن السعادة!



ISBN 9789776634985



789776634985

مكتبة  
t.me/soramnqraa

دارك  
للنشر والتوزيع